

مشروع الشرق الاوسط الكبير

(قراءة في الفكر السياسي الاميركي المعاصر)

The project of the big Middle east

(A reading in the American contemporary political thought)

M.A. Mithaq Minahi Disher

م.م. ميثاق مناحي دشر^(١)

ملخص الدراسة

تعد موضوعة الدراسة من المواضيع المهمة والمعاصرة في الفكر السياسي المعاصر، فمشروع الشرق الأوسط الكبير من المواضيع المعاصرة والتي ما زالت الولايات المتحدة تعمل على تحقيقها في المنطقة على الرغم من وجود معوقات كبيرة، فالولايات المتحدة عازمة على إصلاح ودمقرطة أنظمة الشرق الأوسط ولا سيما الأنظمة العربية بما يتوافق مع المصلحة الأميركية أولاً وبما يؤمن مصلحة وأمن إسرائيل في المنطقة ثانياً، وأبعاد شرور التنظيمات الارهابية والحركات المتشددة، فلا يمكن للباحث في مشروع الشرق الأوسط الكبير أن يدرس المشروع بأنه مشروع إصلاحى فقط دون الكشف عن البنية الحقيقية لهذا المشروع الاميركي، لان تداعياته السياسية وتشكيل مراحله لازالت في طور التكوين، وربما نحن أمام عصر تكويني خامس أو سادس من عصور الشرق الأوسط كما يسميها ريتشارد هاس، وعلى نحو التكوين فهذا المشروع يحتاج إلى سنوات وعقود من الزمن، لان عملية الإصلاح الديمقراطي تحتاج صبراً طويلاً وإصلاح مؤسساتي تدريجي، وقد كشفت الدراسة ذلك من خلال دراسة المشروع الديمقراطي للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، وتاريخية ذلك المشروع في الفكر السياسي الاميركي والأوربي، وأهمية المنطقة

بالنسبة للولايات المتحدة. وهذا ما تم دراسته على شكل مبحثين تناول المبحث الأول مشروع الشرق الأوسط (الجدور والدوافع)، وقد تم تقسيم المبحث الى مطلبين تناول الاول التطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط، في حين تناول المطلب الثاني الدوافع الاميركية المحركة لمشروع الشرق الأوسط الكبير وأثرها في صياغة ذلك المشروع. أما المبحث الثاني تناول المشروع الديمقراطي الأميركي للشرق الأوسط وقسم المبحث الى مطلبين أيضا تناول المطلب الأول تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح لتقويض الإسلام الراديكالي، أما المطلب الثاني تناول موضوع القوة الناعمة ودورها في ترسيخ المشروع الديمقراطي الأميركي. إضافة الى الخاتمة والاستنتاجات.

Abstract

This study has been regarded as one of the important topics within the contemporary political thought, the Greater Middle East Project is one of contemporary topics, and the United States continue working to implementing it in the region despite there are many obstacles, The United States is planned to reform and democratize the Middle East regimes, particularly the Arab regimes in line with American interests firstly, and to secure the Israel's presence and interests in the region secondly, and combating terrorist groups and extremist movements. The researcher in the Greater Middle East project can not understand this project as a reformist project only without disclosing the true structure of this American project, because its political implications and formation stages are still in the formative stage, and perhaps that we are facing the forming of the fifth or sixth era of the Middle East eras as Richard Haass calls it, As the formative stage, this project needs to years and decades, because the democratic reform process requires patience and a long gradual institutional reforms, This study will reveal that by examining the democratic project brought by the United States in the Middle East, This study will reveal that by examining the democratic project brought by the United States in the Middle East, and its historical American and European political thought, and the importance of the region for the United States.

المقدمة

حظي الشرق الأوسط باهتمام كبير في السياستين الغربية والأميركية على حدٍ سواء، منذ بداية القرن العشرين والحرب العالمية الأولى واتفاقية سايكس بيكو، وبداية الاستعمار الأوربي المتمثل في الاستعمار البريطاني - الفرنسي في المنطقة العربية، وبعد الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة بين المعسكرين الأميركي - السوفيتي، واحتدام الصراع بين المعسكرين على منطقة الشرق الأوسط والبدء بسياسة

الاحلاف والاحلاف المضادة بين المعسكرين، وبداية التدخلات المباشرة في المنطقة، والشرق الأوسط الذي عد ساحة نزاع ومنافسة بين القوى المتصارعة، وحتى نهاية الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة في النظام الدولي وتسيدها العالمي، وإطلاق مشروع الشرق الأوسط الجديد من قبل الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز، وبداية التفكير لمشروع القرن الأميركي، حظي الشرق الأوسط أهمية كبيرة في التفكير السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، وبدأت مراكز الأبحاث الأمريكية بتقديم الدراسات والخطط لإطلاق مشروع الشرق الأوسط، إلى أن جاءت أحداث ١١/٩/٢٠٠١م، وبدأت الإدارة الأمريكية التفكير بجدية وعزم في إصلاح الأنظمة السياسية الديكتاتورية في المنطقة، والداعمة للإرهاب وتحديث المنطقة ودمقرطتها وفق الرؤية الأمريكية وبما يتناسب مع المصالح السياسية والامنية للولايات المتحدة وإسرائيل، ولذلك أطلقت الإدارة الأمريكية مشروع الشرق الأوسط الكبير ومبادرة الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية وتحديث المجتمعات والأنظمة السياسية للمنطقة؛ لإبعاد شرور الإسلاميين الراديكاليين، مستنداً لتقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية العربية ٢٠٠٢-٢٠٠٣م، ليدخل ذلك المشروع حيز التنفيذ بعد الحرب على أفغانستان والعراق.

اهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة العلمية من كونه يبحث في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر أولاً، وأحد تجليات هذا الفكر ثانياً، ألا وهو مشروع الشرق الأوسط الكبير، وأهميته بالنسبة للسياسة الأمريكية المعاصرة لاسيما بعد ظهور تنظيم "داعش" في المنطقة.

اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١. دراسة ماهية مفهوم الشرق الأوسط عبر المراحل التاريخية من خلال البحث في الجذور التاريخية لهذا المفهوم.
٢. دراسة الأهمية الجيوسياسية والاستراتيجية للشرق الأوسط، وأهميته المعاصرة في العقل السياسي الأمريكي.
٣. الدوافع السياسية والفكرية التي دفعت الفكر السياسي الأمريكي إلى إطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير.
٤. دراسة أثر المتغيرات في البيئة السياسية وانتهاء الحرب الباردة ومصادر الطاقة وأمن إسرائيل، وأحداث ١١/٩/٢٠٠١م، وأثرها في صياغة المشروع الأمريكي.
٥. دراسة الفكر السياسي الأمريكي المعاصر في إصلاح المجتمعات الشرق أوسطية وطريقة ديمقراطية تلك المجتمعات وإصلاح انظمتها السياسية، انطلاقاً من الرؤية الأمريكية المعاصرة وفق وسائل تحقيق الهدف الأمريكي (القوة الصلبة والناعمة).

فرضية الدراسة :

تنطلق الدراسة من فرضية اساسية مفادها (أن الولايات المتحدة الأميركية ما زالت تفتقر إلى استراتيجية واضحة المعالم في سياستها في الشرق الأوسط سواء فيما يتعلق بعملية إصلاح الأنظمة السياسية في المنطقة ودمقرطتها، أم ما يتعلق في المحافظة على استقرار الوضع السياسي في المنطقة بشكل عام). وبهذا ستحاول الدراسة اثبات صحة هذه الفرضية.

منهجية الدراسة :

اعتمدت المنهجية العلمية في التحقق من صحة فرضية الدراسة على المنهج التاريخي والمنهج التحليلي ويعتمد المنهج التاريخي في دراسة التطورات التاريخية لمفهوم الشرق الأوسط، فهو منهج ضروري لكل الدراسات والبحوث الانسانية، اما المنهج التحليلي فيعتمد في تحليل المواقف وأحداث الخاصة بموضوع الدراسة.

هيكلية الدراسة :

اقتضت الضرورة العلمية للدراسة تقسيم الدراسة على مبحثين، فضلاً عن مقدمة وخاتمة، وجاءت بالشكل الآتي:

المبحث الأول : مشروع الشرق الأوسط الكبير (التطور التاريخي والدوافع)، واشتمل على مطلبين، تناول المطلب الأول التطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط، اما المطلب الثاني فقد خصص بدراسة الدوافع الأميركية المحركة لمشروع الشرق الأوسط الكبير.

أما المبحث الثاني : فقد خصص لدراسة عنوان المشروع الديمقراطي الأميركي للشرق الأوسط، واشتمل على مطلبين ايضاً، خصص الأول لدراسة تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح لتقويض الإسلام الراديكالي، اما الثاني فتناول القوة الناعمة ودورها في ترسيخ المشروع الديمقراطي الأميركي في المنطقة.

المبحث الأول : مشروع الشرق الأوسط الكبير (التطور التاريخي

والدوافع)

تشكل منطقة الشرق الأوسط أهمية كبيرة من حيث موقعها الجيوسياسي والاستراتيجي، فضلاً عن أهميتها النفطية، ونتيجة لتلك الأهمية كان هناك اهتمام مبكر في منطقة الشرق الأوسط وصراع بين القوى الاستعمارية من اجل السيطرة على تلك المنطقة. فالحديث عن مشروع الشرق الأوسط الكبير، يتطلب - بصورة أو بأخرى - التطرق للتطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط، والدوافع الأميركية التي دفعت بالفكر السياسي الأميركي بإطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير. ولهذا سيتناول هذا المبحث مطلبين: تناول المطلب الأول: التطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط. اما المطلب الثاني فتناول: الدوافع الأميركية المحركة لمشروع الشرق الأوسط الكبير.

المطلب الأول: التطور التاريخي لمفهوم الشرق الأوسط

يبدو أن مفهوم الشرق الأوسط مفهوم متحرك غير مستقر بالمعنى التاريخي، حتى في أبعاده الجغرافية والسياسية فقد تغيرت الصياغات السياسية والجغرافية والمسميات بالنسبة لهذا المصطلح، من الشرق الأوسط إلى الشرق الأوسط الجديد إلى الأورومتوسطية إلى الشرق الأوسط الكبير حسب المفاهيم الغربية (الأوربية والأميركية)^(٢). ويعد المؤرخون أن ولادة الشرق الأوسط المعاصر جاءت في أواخر القرن التاسع عشر، ويشير البعض إلى أن أولى مؤشراتها كانت مع توقيع معاهدة السلام بين روسيا والسلطة العثمانية في عام ١٧٧٤م^(٣).

إن مفهوم الشرق الأوسط يرجع في جذوره إلى بدايات القرن العشرين، حينما استخدمه رجل الاستخبارات البريطاني الجنرال توماس جوردن عام ١٩٠٠م، في تنبيهه للحكومة البريطانية من الخطر الروسي على مصالحها في الهند، وأن كان المفهوم قد ارتبط بالجنرال الأميركي الفرد ماهان عام ١٩٠٢م، حين نبه الحكومة البريطانية لأهمية منطقة الخليج العربي التي اطلق عليها الشرق الأوسط للإمبراطورية البريطانية ومصلحتها في الهند، لبدأ المفهوم بعد ذلك بالانتشار في الدوائر الاستعمارية الغربية،^(٤) وفي العام نفسه كذلك كتب فالتاين شيرويل مراسل جريدة التايمز البريطانية مجموعة مقالات امتدت لعدة شهور تحت عنوان (المسألة الشرق أوسطية)، حيث كرس فالتاين مقالاته للبحث عن مقومات الاستراتيجية المتوفرة في المنطقة، والتي تعدها بريطانيا ضرورية لتأمين الدفاع عن مستعمراتها في الهند، والتي كانت توليها أهمية بالغة في ذلك الوقت. ونظراً لأهميتها، فقد اطلق عليها جوهر المستعمرات البريطانية. وقد تطور هذا التعبير وتصاعد وفق استخداماته المرتبطة بالمصالح البريطانية^(٥). ليصل بعد ذلك إلى تأسيس قيادة الشرق الأوسط في القيادة العسكرية للحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

وقد استخدم هذا المفهوم للدلالة على المنطقة التي يقع مركزها في الخليج العربي الواقع بين منطقتي الشرق الأدنى والشرق الأقصى، وفي هذا الإطار شاعت فكرة الشرق الأوسط في السياسة البريطانية، وفكرة المشرق في ادبيات السياسة الفرنسية، وكلاهما مفاهيم جيوسياسية واستراتيجية دلت على طبيعة مخططات القوى الاستعمارية الأوربية ازاء شرقها هي بالمعنى الجغرافي، وعكست استراتيجيات تقاسم مناطق النفوذ بينها، وخصوصاً مع اكتشاف البترول في كل من إيران والعراق وشبه الجزيرة العربية^(٦). وهكذا تداخل في المشروع الاستعماري الجغرافيا والتاريخ والأيدولوجيا وحمل المفهوم في طياته تطوراً لعلاقة الوطن العربي بالعالم الغربي لعصر ما قبل الحرب العالمية الأولى.

- ٢ - العفيفي، محمود حسن، مشروع الشرق الأوسط الكبير وأثره على النظام الاقليمي العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية الآداب والعلوم السياسية، غزة، ٢٠١٢، ص ١٢.
- ٣ - هاس، ريتشارد، نهاية عصر الشرق الأوسط الجديد، مجلة فورن افيرز، ١٣ تشرين الثاني ٢٠٠٦، اعداد مركز الحرمين، مجموعة مقالات بعنوان (الشرق الأوسط الجديد)، ص ٤٩. انظر الرابط: <http://goo.gl/EbFMss>.
- ٤ - البرصان، احمد سليم، مبادرة الشرق الأوسط الكبير الإبعاد السياسية والاستراتيجية، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، المتابع الاستراتيجي، ٢٠٠٤، ص ٢١. انظر الرابط: <http://goo.gl/GaUrb6>.
- ٥ - زكي، صلاح احمد، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي، ط١، دار العالم الثالث، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٧.
- ٦ - ثابت، احمد، الشرق الأوسط الكبير، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

جاءت الحرب العالمية الأولى لتسجل نهاية ذلك العصر أو ما يسميه ريتشارد هاس العصر الأول^(٧)، بالتزامن مع انحطاط وتفكك الدولة العثمانية، لبدأ الأوربيون بعد ذلك بالتوغل في المنطقة، وتقاسم غنائم الحرب بين الدول الأوروبية المنتصرة معلنة بداية عصر الاستعمار، التي شهدت فيه المنطقة هيمنة فرنسية - بريطانية دامت نحو أربعة عقود، والذي سرعان ما انتهى في اعقاب الحرب العالمية الثانية التي استنزفت قوة الأوربيين، بالتزامن مع بروز القومية العربية، وظهور قوتين عظيمتين على مسرح السياسة الدولية، وفي هذا الاطار يعد المؤرخ البرت حوراني أن ازمة السويس في العام ١٩٥٦م كانت المؤشر على نهاية عصر الاستعمار(العصر الثاني) وبداية عصر الحرب الباردة في المنطقة، لافتاً إلى أن من يحكم الشرق الادنى يحكم العالم، ومن له مصالح في العالم يظل مقيداً بقضايا هذه المنطقة^(٨).

لم يكن مفهوم الشرق الأوسط يشير في الواقع إلى حيز جغرافي معين ولا تاريخ محدد مشترك لشعوب المنطقة، بل استند بالإساس إلى نظرة السياسات الاستعمارية، غير أن مفهوم الشرق الأوسط بدا في الانتشار اثناء الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء، للإشارة إلى الاقليم الممتد من جنوب اسيا إلى شمال افريقيا، ثم اخذ تعبير الشرق الأوسط يحل تدريجياً محل مصطلحات اخرى سادت في الاستعمال مثل الشرق الاقصى، والشرق الادنى^(٩). ومع قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م ركز المؤسسون الأوائل على مفهوم الشرق الأوسط للتضليل الحضاري على المنطقة. فالشرق أوسطية كفكره تنسب إلى مراكز خارج الشرق الأوسط، هو أوروبا تدريجياً وإلى الغرب، وفيه الآن الولايات المتحدة قطبه الأكبر، وهي لم تعبر ابداً عن نطاق جغرافي تاريخي محدد على وجه الدقة، بل تعرض للانكماش والتوسع مع تغير المشاريع الغربية والأميركية اتجاه الوطن العربي والعالم الإسلامي^(١٠). الا أن السياسة الأميركية بقيت مدركه للأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط من عام ١٩٠٢م، عندما أكد ماهان على أهمية المنطقة بقوله "إن الشرق الأوسط سواء كان مفهوماً استراتيجياً ام مفهوماً حدودياً للأجزاء الجنوبية للبحر المتوسط والامتداد الاسيوي، فإنه مرشحاً ليكون موقعاً للمواجهة المستقبلية بين الاستراتيجيات المتصارعة"^(١١). فالإدراك الأميركي لأهمية المنطقة تبدوا بعيدة، ليس فقط ادراك أهميتها وانما دراستها عن بعد وهذا ما يبدو واضحاً في كتابات جون ليديارد وهو صديق توماس جيفرسون وربما يعد من أوائل الشخصيات الأميركية التي تدرك أهمية الشرق الأوسط عندما كتب " انه لمن الغريب ان اللغة العربية لا تحتوي على كلمة الحرية"^(١٢). وهذا يكشف عن مدى أهمية المنطقة العربية في الفكر السياسي الأميركي منذ زمن بعيد. لبدأ

٧ - هو عصر وصول نابليون إلى مصر، الذي مهد لنشوء الشرق الأوسط الحديث وتفكك الدولة العثمانية.

٨ - هاس، ريتشارد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩.

٩ - العفيفي، محمود حسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

١٠ - المصدر نفسه، ص ١٢.

١١ - الرفوع، فيصل عوده، الغرب والصراع العربي الصهيوني في ظل الإسلام السياسي، مركز دراسات الشرق الأوسط، (التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط)، ط ١، عمان، ٢٠٠٠، ص ٦٤ - ٦٥.

١٢ - أورين، ميشيل، فطيرة التفاح والشرق الأوسط (لقد حاولت اميركا ولفتره طويله ان توجه الشرق الأوسط نحو القيم الأميركية، لوس انجلوس تايمز، ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٧، مركز الحرمين، مصدر سبق ذكره، ص ١١٤.

التدخل الأميركي الفعلي في منطقة الشرق الأوسط بعد ذلك وتمثل بالإطاحة بنظام مصدق في إيران وتثبيت حكم الشاه، ثم جاء الرئيس الأميركي أيزنهاور بمبدأ سياسة ملء الفراغ، كي تحل الولايات المتحدة محل الاستعمارين البريطانيين والفرنسيين^(١٣). ليمد ذلك المبدأ نطاق المجال الحيوي للولايات المتحدة الأمريكية إلى الشرق الأوسط، وبرز تطبيقات المبدأ بعد أن سمح الرئيس باستخدام القوات المسلحة الأمريكية، خارج الحدود في الشرق الأوسط، وكان التدخل المباشر في لبنان والاردن. ليأتي بعد ذلك مبدأ نيكسون والإنبابة المدعومة، والتي صيغت بعد ذلك إلى نظرية (فتنمه الحرب) أي جعل النظم المؤيدة للولايات المتحدة تلعب دورها في الدفاع عن مصالحها ومصالح الحليف الأكبر. وقد بدأ مبدأ نيكسون تطبيقاً في التحركات المكوكية لهنري كيسنجر، من أجل أن يقرر الشرق أوسطيين مستقبل الشرق الأوسط، برعاية العرب الأميركيين، ومن هنا بدأت المفاوضات المباشرة بين الكيان الصهيوني والنظام السادتي، والتي انتهت بتوقيع اتفاقيتي سيناء الأولى والثانية، وجاء بعد ذلك مبدأ كارتر، في الشرق الأوسط، لي طرح ضرورة اعتماد القوة لغزو حقول النفط، وخاصة بعد حرب ١٩٧٣م، واستخدام النفط كسلاح^(١٤). ليستمر التدخل الأميركي في المنطقة بعد ذلك في عهد الرئيس ريغان في ثمانينات القرن الماضي، على المستويين السياسي والاقتصادي وفقاً للمصلحة الأميركية، لكن من الخطأ القول أن العصر الثالث (عصر الحرب الباردة)، كان مجرد مرحلة تنافست فيها القوى العظمى بشكل منظم، فحرب حزيران ١٩٦٣م، أحدثت تغييراً في موازين القوة، فيما أظهر استخدام النفط كسلاح اقتصادي . وسياسي، في حرب ١٩٧٣م، وهشاشة الولايات المتحدة والعالم، سواء فيما يتعلق بالقدرة على تأمين النقص في الموارد النفطية والقدرة على التحكم في اسعارها، في وقت أوجدت فيه موازين الحرب الباردة، إطاراً سياسياً، استطاعت من خلاله القوة الاقليمية أن تحافظ على استقلالية كبيرة للعمل وفقاً لأجندتها الخاصة، وجاءت الثورة الإسلامية في إيران لتطرح بدعائم السياسة الأميركية في المنطقة، ولتظهر عدم قدرة القوة الخارجية على التأثير، في الاحداث المحلية، عدا أن الدول العربية كانت قد نجحت في مواجهة المحاولات الأميركية لجرها مشاريع مناهضة للسوفييت، فيما ادى الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢م، إلى ولادة حزب الله، وقت استنزفت فيه الحرب العراقية الإيرانية هذين البلدين طيلة عقد من الزمن^(١٥). لينتهي بذلك العصر الثالث معلناً بداية العصر الرابع (عصر ما بعد الحرب الباردة) على منطقة الشرق الأوسط. لبدأ ذلك العصر بالترويج بتحقيق السلام في المنطقة، وهو ما عبر عنه روبرت ماكفرلين، مستشار الامن القومي الأميركي السابق عام ١٩٨٨م، بقوله "يجب أن يكون للتوجه السياسي بعده الاقتصادي، على

١٣ - ليب، فخري، النظام العالمي الجديد والمبادرات الأميركية لشرق أوسطية، قضايا فكرية من اجل تأصيل العقلانية والديموقراطية والابداع، سلسلة كتب قضايا فكرية، قضايا فكرية لنشر والتوزيع، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٠٧.

١٤ - المصري، احمد، الاستراتيجية الأميركية والشرق الأوسط المنطق النظري والتطبيقات العملية، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العدد ٣، ٢٠٠٧، ص ٦٧- ٩٤. انظر الرابط: <http://goo.gl/J8Oyuh>.

١٥ - هاس، رتشارد، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

اساس أن السلام في الشرق الأوسط هو مصلحة عالمية، وانه يجب تأمين تكاليف هذا المخطط عالمياً^(١٦).

وتعود أيديولوجيا الشرق الأوسط الكبير إلى طروحات المؤرخ البريطاني برناند لويس في مقال له نشر في مجلة الشؤون الخارجية بعنوان (أعادة هيكلية الشرق الادنى) عام ١٩٩٢م^(١٧). ولكن قبل ذلك وبعد عقد مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١م، طرح شمعون بيريز مفهوم الشرق الأوسط الجديد، وألف كتاب حمل نفس العنوان يدعو فيه إلى اختراق العالم العربي، من خلال النشاط الاقتصادي بالتوازي مع الدعم الأميركي السياسي والاقتصادي للمنطقة العربية، وهو الطرح ذاته الذي عبر عنه روبرت ماكفرلين، بأن يكون للتوجه السياسي بعده الاقتصادي، لان بيريز كان يدعو إلى اختراق اقتصادي مسنود بتوجهات سياسية اميركية. الا أن تعثر عملية السلام، واختيار اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣م، ووصول اليمين المتطرف إلى الحكم ورفضه لهذا المفهوم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وفي اعقاب حرب الخليج الثانية والتواجد الأميركي في منطقة الخليج، تبنت الولايات المتحدة استراتيجية شاملة لمنطقة اسيا الوسطى والخليج العربي وبقية الدول العربية تحت مفهوم منطقة متزامية الاطراف من المغرب غرباً إلى هضبة التبت شرقاً وتضم تركيا وإيران وباكستان وأفغانستان، كما ظهر مفهوم (الشرق الأوسط الكبير) في التقرير الاستراتيجي السنوي لعام ١٩٩٥م، الصادر من معهد الدراسات الاستراتيجية القومية التابع لوزارة الدفاع الأميركية، حيث خصص فصل منفرد للشرق الأوسط الكبير من المغرب حتى الحدود الصينية ليشمل المغرب العربي واسيا العربية واسيا الوسطى الإسلامية وجنوب اسيا^(١٨). وفي عام ١٩٩٩م، حدث تطور عسكري هام مرتبط بالشرق الأوسط الكبير، تمثل في نقل وزارة الدفاع الأميركية امر القيادة العليا للقوات الأميركية في اسيا الوسطى من قائد القوات الأميركية في الباسفيك (المحيط الهادي) إلى القيادة المركزية للشرق الأوسط التي كانت تعرف بقوات الانتشار السريع. الا أن مع اعلان بوش الابن مبادرته (الشرق الأوسط الكبير) نجد أن هناك تحولاً في طرح حدود هذا المفهوم خاصة منذ انعقاد مؤتمر قمة الثماني ومشاركة الدول الأوروبية، حيث اصبح يطرح الشرق الأوسط الكبير وشمال افريقيا، وكأن منطقة المغرب العربي خارج نطاق الشرق الأوسط الكبير^(١٩).

يتضح مما سبق أن مفهوم الشرق الأوسط لم يكن وليد مرحلة معينة، فهو يطلق على المنطقة العربية بشكل ثابت بينما يتحدد احياناً ليشمل دولاً أخرى أو ينكمش وفقاً للسياسات الاستعمارية الغربية آنذاك، ووفقاً لأهداف القوة المسيطرة والتي تختلف من مرحلة إلى أخرى. وإذا كان الشرق الأوسط غير

١٦ - ابو راشد، عبد الله احمد، العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، دار الحوار، ط١، ١٩٩٩، ص ٦٤.

١٧ - الصواف، منتصر غازي، تأثير المحافظين الجدد على السياسة الخارجية الأميركية اتجاه سوريا ما بعد احداث ١١/أيلول

٢٠٠١، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم العلوم السياسية، ٢٠١٣، ص ٩٤.

١٨ - البرصان، احمد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

١٩ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

واضح المعالم، بالنسبة للسياسات الاستعمارية، فان الدوافع الأميركية لشرق الأوسط تبدو واضحة بشكل اكبر.

المطلب الثاني : الدوافع الأميركية المحركة لمشروع الشرق الأوسط الكبير

تعد منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي احدى اهم المناطق الحيوية والاستراتيجية للمصالح الغربية عموماً والأميركية بوجه خاص، ليس بسبب موقعها الجغرافي والاستراتيجي فحسب، وانما لدوافع اخرى، وفيما يأتي اهم الدوافع التي حركت العقل السياسي الاميركي ليطلق مشروع الشرق الأوسط الكبير.

اولاً: القيم الأميركية والروح التوسعية للفكر السياسي الاميركي.

ثانياً: النفط وضمن أمن إسرائيل.

ثالثاً: تغير البيئة السياسية وانتهاء الحرب الباردة.

رابعاً: احداث ١١/أيلول سبتمبر ٢٠٠١م.

وسنحاول – وبشيء من التفصيل – توضيح هذه الدوافع

١. القيم الأميركية والروح التوسعية للفكر السياسي الأميركي

في مطلع القرن التاسع عشر أو عام ١٨١٢م، على وجه التحديد قال الروائي هيرمان ميلفيل^(٢٠) "نحن رواد العالم وطلائعه.. اختارنا الرب، والانسانية تتطلع إلى سلالتنا وتنتظر منا الكثير، ونحن نشعر في مكنون انفسنا بالقدر على فعل الكثير، لقد بات لزاماً على الكثير من الأمم أن تحتل المؤخرة.. نحن الطليعة ننتقل إلى البرية لنقدم ما لم يستطع أن يقدمه الأوائل"^(٢١). وما قاله تيودور روزفلت ١٨٥٨-١٩١٩م، "أمركة العالم مصير امتنا وقدرها"^(٢٢). تلك الأقاويل وغيرها تعكس إلى حد كبير الروح التوسعية للفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة في وقتنا الحاضر. ففلاسفة الفكر الأميركي يؤمنون بأن الولايات المتحدة الأميركية امة صاحبة رسالة عالمية، وقد كلفها الله بتلك الرسالة وهذه الرسالة امتزجت مع الفكر السياسي الأميركي بروحه التوسعية ومضمونه البراغماتي الواقعي، لتظهر بمظهر الامة المكلفة بحماية الارض وبرعاية كونية، فالتفكير البراغماتي العملي يحتاج إلى النجاح حتى لو تخلى عن الروح الاخلاقية، وهذا يتسق كثيراً مع قول الكسندر هاملتون ١٧٥٥-١٨٠٤م، أول وزير خزانة في الولايات المتحدة بقوله "النجاح لا يعرف الاخلاق"^(٢٣). فالنجاح الأميركي ربما يفرض اخلاقيات من نوع آخر

٢٠ - هيرمان ميلفيل (١٨١٩-١٨٩١م)، روائي اميركي مؤلف رواية موي ديك، التي صدرت في ١٨ أكتوبر عام ١٨٥١م، تدور حول صراع تراجيلدي بين حوت وانسان تتخذ من هذا الصراع الضاري وسيلة لتأمل الوضع البشري وعلاقته بالوجود، كما تحوله إلى كيان رمزي معقد وحكاية الليغورية عن كيفية العيش، وعن المشروع الاميركي الذي وجد في عمل ملفيل شكلاً من اشكال التعبير عن نفسه في منتصف القرن التاسع عشر أي حين كانت اميركا تكتشف ذاتها كقوة كونية وامبراطورية امبريالية اميركية بالقوة والامكان، فكانت رواية موي ديك، وروايات ملفيل الاخرى نبوءة لما ستصير اليه هذا القوة الكامنة. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

٢١ - ليفين، اناتول، اميركا بين الحق والباطل (تشریح القومية الأميركية)، ترجمة ناصر السعدون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٩٢-٩٣.

٢٢ - العيساوي، ميثاق مناحي، البراغماتية في الفكر السياسي الأميركي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، ٢٠١١، ص ١٥٠.

٢٣ - جلال، شوقي، العولة الهوية والمسار، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٩٢.

تختلف عن اخلاقيات العالم الآخر. هذه الأقاويل والخطب ومبادئ الرؤساء الأميركيين خلقت ارضية فكرية واصبحت خلفية فكرية للسياسات الأميركية اللاحقة، فمفهوم الشرق الأوسط ادركه العقل الأميركي منذ وقت مبكر، فتوماس جيفرسون يعتقد أن الولايات المتحدة لا تستطيع الاعتماد على أي معاهدات سلام مع أي دولة شرق أوسطية والتي ترتبط بمعاهداتها مع حياة حاكمها^(٢٤). إذاً فالاعتقاد الراسخ في العقل الأميركي بأن جذور القيم الديمقراطية والإصلاح التي تروج لها الولايات المتحدة اليوم عبر مشروع الشرق الأوسط والعالم العربي، موجوده في القيم الدينية الأميركية والسلوك الأميركي، وأن قيم الديمقراطية تتطلب هذه الارضية لتدعيمها^(٢٥).

يقول جون مكين في مقال نشر في فصلية فورين أفيرز (الشؤون الخارجية الأميركية)، "يجب إن نسير قدماً نحو ربط الأمم الديمقراطية بعضها مع بعض في منظمة واحدة، منظمة رابطة الديمقراطيات العالمية" وهذا ما تسعى اليه اليوم الولايات المتحدة في مشروعها الشرق أوسطي وهذه ستكون مختلفة عن خطة ودر وولسون، خلال وبعد الحرب العالمية الأولى، بأنشاء عصبة الأمم ذات العضوية المفتوحة، بل اقرب إلى ما تخيله تيودور روزفلت، حيث الدول المتشابهة تعمل بشكل لصيق بعضها مع بعض من اجل السلام والحرية، وهذا ما روج له المحافظون الجدد، لفكرة تأسيس رابطة الدول الديمقراطية، يكون هدفها الدفاع والمحافظة على مصالح هذه الدول ومصلحة الولايات المتحدة^(٢٦)، وربما هو الهدف الاكبر وراء مشروع الشرق الأوسط الكبير.

فقد وضعت الادارة الأميركية في عهد بوش الابن المصلحة الأميركية أولاً واخيراً وتناغمت مع مقولة روزفلت "إن قدرنا هو امركة العالم"، في صياغة اميركية معاصرة تحت مفهوم النظام العالمي، مقسمة المجال لإقامة نظام شرق أوسطي وفق المقاييس الأميركية^(٢٧). لذلك فإن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في بداية القرن الحادي والعشرين هي محاولة الجمع بين الترويج للقيم وقواعد السلوك بين العرب والمبينة على اساس العقيدة الأميركية مع دعم لدولة إسرائيل، التي تستند سياستها إلى الأطروحة الأميركية المضادة^(٢٨)، وهيمنة الاحلاف العسكرية والحكم على الشعوب الاخرى على اساس مزيج من مزاعم ليس لأي منها ترابط مع القيم الليبرالية الشاملة^(٢٩). وهذا ما أعلنت عنه كونداليزا رايس حينما كانت مستشارة للأمن القومي الأميركي عام ٢٠٠٢م، بأن الولايات المتحدة تريد تحرير العالم الإسلامي ونشر الاسلوب الديمقراطي في ربوعه أولاً، وثانياً نريد تغيير الأنظمة السياسية العربية، وهو ما تجلّى بمشروع الشرق

٢٤ - أورين، ميشيل مصدر سبق ذكره، ص ١١٤.

٢٥ - كوريت، مايكل وكورنية، ميشيل، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأميركية، ترجمة زين نجاني ونشأت جعفر، ج ١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، لوس انجلوس، ٢٠٠٢، ص ٢٢٢.

٢٦ - الحروب، خالد، في الفكر السياسي الاميركي الجديد (عودة التاريخ ورابطة الديمقراطيات)، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد، ٢٠٠٨، ص ٣٤ و ٣٧٥.

٢٧ - ابو راشد، عبد الله احمد، مصدر سبق ذكره، ص ٧١.

٢٨ - الأطروحة الأميركية المضادة (American Anti-Thesis)، وهي العوامل التي يراها المؤلف (اناتول ليفن) انها تؤثر سلباً على عظمة الولايات المتحدة على الصعيد العالمي، ليفن، ص ٥٥٦.

٢٩ - ليفن، اناتول، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣٨.

الأوسط الكبير، والاطاحة بنظام صدام حسين لدمقرطة المنطقة وضمها لرابطة الديمقراطيات العالمية التي اعلن عنها المحافظون الجدد.

إذاً ما يمكن قوله أن القيم الأميركية التي خلقها المؤسسون الأوائل، والروح التوسعية للفكر السياسي الأميركي كانت دافعاً مهماً لمشروع الشرق الأوسط في المنطقة، فالخطب والتصاريح الأميركية الرسمية والغير الرسمية، الممتزجة بالقيم الأميركية الدينية والغير دينية، مثلت مرجعاً فكرياً للسياسات الأميركية المعاصرة، وخلقت فكراً سياسياً أميركياً بُنيت على اساسه مشاريع واحتلت دول، واسقطت أنظمة سياسية، بتلك المرجعية الفكرية، ومشروع الشرق الأوسط هو احد افرازات ذلك الفكر.

٢. النفط وضمان أمن إسرائيل

احتلت مسألة النفط جانباً كبيراً من اهتمامات كافة الادارات الأميركية المتعاقبة، نظراً لما يشكله النفط من مصلحة اساسية للولايات المتحدة الأميركية، والقوى الكبرى، بسبب وجود احتياطيّات بترولية ضخمة ومؤكدة، سهولة الاكتشاف، ومنخفضة التكاليف مقارنة بأية منطقة اخرى في العالم، وما قاله السيناتور الأميركي أوين بروستر في أيار عام ١٩٤٧م، يؤكد ذلك يقول " إن من يقعد على صمام النفط في الشرق الأوسط يمكنه أن يتحكم في مصير أوروبا"^(٣٠). يشكل هذا القول في مضامينه وخلفياته اهمية النفط العربي كضرورة اقتصادية - عسكرية وكقوة سياسية فاعله في فرض شروط الاقوياء، واحكام السيطرة الكونية ومقدرات الدول والشعوب. ففي شهر مارس من العام ٢٠٠١م، صرح سبنسر ابراهام أول وزير طاقة في ادارة بوش الابن قائلاً "اميركا مقبلة على ازمة كبيرة في توفير الطاقة في العقدين القادمين، وأن أي فشل في مواجهة هذا التحدي سيعرض اقتصادنا وامنا القومي للخطر، وتغير اسلوب حياتنا بكل معنى الكلمة مما دفع أو يدفع القوى العظمى إلى احكام سيطرتها على منطقة الشرق الأوسط التي تحوي على اكبر احتياطي للنفط في العالم"^(٣١).

فسياسة الولايات المتحدة للسيطرة على النفط في العالم ليس وليدة اليوم، بل هي تضرب عميقاً في جذور التاريخ الأميركي، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فالقرن الحادي والعشرون بدأ بحرب من اجل السيطرة على ثروة القرن الكبرى، أي النفط وذلك عندما شنت اميركا الحرب على العراق ٢٠٠٣م. فلم يكن هدف الحرب تخليص العراق من نظام ديكتاتوري، ولا الحرب على الارهاب، بل كان الهدف تحقيق مصالح اميركية استراتيجية متعلقة بضمان هيمنة اميركا على هذه المنطقة النفطية، وتأسيس لمشروع الشرق الأوسط، وتقسيم المنطقة لضمان أمن إسرائيل، الحليف الديمقراطي الوحيد في المنطقة للولايات المتحدة الأميركية^(٣٢). والمحافظون الجدد الذين تمكنوا من السيطرة على مفاصل السياسة الخارجية الأميركية كانوا مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بشركات النفط والسلاح والذين دفعوا ادارة الرئيس بوش للحرب على العراق،

٣٠ - ابو راشد، عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧.

٣١ - التنير، سمير، اميركا من الداخل (حروب من اجل النفط)، ط١، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٢٧.

٣٢ - المصدر نفسه، ص ١٢٥-١٢٦.

واطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير^(٣٣)، وهذا ما ذهب اليه لورنس ليندساي، المستشار الاقتصادي للرئيس الأميركي السابق بوش الابن، في قوله قبل بداية الحرب الأميركية على العراق ٢٠٠٣ م، "إن النفط هو الهدف الرئيس لأي هجوم أميركي على العراق، وإن التأثيرات السلبية والتكلفة الاقتصادية لأي عمل عسكري ضد العراق، ستكون بسيطة للغاية مقارنة بالمزايا الاقتصادية المرجوة في حال نجاح الحرب"^(٣٤).

لقد تبنت الولايات المتحدة الأميركية خلال ادارتها المتعاقبة سياسته واضحة وثابتة، تمثلت بسياسة دعم وضمان امن إسرائيل مادياً ومعنوياً، وذلك من خلال تعمدتها بتحقيق تفوق إسرائيل العسكري على الدول العربية مجتمعة، وتمكنها من الاستمرار بامتلاك السلاح النووي في المنطقة، فضلاً عن التزام الولايات المتحدة بدعم إسرائيل في المحافل الدولية والحيلولة دون صدور قرار ضدها من مجلس الامن لانتهاكها المستمر للقانون الدولي، الامر الذي افقد الولايات المتحدة مصداقيتها في المنطقة العربية، ولاسيما موقفها من الصراع العربي - الإسرائيلي، الامر الذي يحتاج إلى تسوية واعادة الثقة في الولايات المتحدة بأنها صديق وحليف في المنطقة العربية، ولذلك ارادت الادارة الأميركية من خلال مشروع الشرق الأوسط الكبير، ادخال إسرائيل في المنظومة العربية، والتي سبق وان قدمت مجموعة افكار للكونغرس الأميركي تحت عنوان (التعاون الاقليمي في الشرق الأوسط)، قائمة على اساس ادخال إسرائيل في المجال الحيوي لسياسة الشرق الأوسط، وتهيئة الاجواء للاعتراف العربي الشامل به كجزء لا يتجزأ من تراث المنطقة، من خلال تطوير قنوات التعاون في مجالات العلوم التكنولوجية، واقامة شبكة من وسائط الاتصال الحديثة والربط الاقليمي لدول المنطقة^(٣٥). وفي الجانب الصهيوني ارتبط مفهوم الشرق أوسطية باسم شمعون بيريز تحت اسم الشرق الأوسط الجديد، والذي دعا فيه إلى نسيان الماضي والحروب، ووضع حد للصراع العربي - الصهيوني وبناء شرق أوسط جديد متجانس. فإسرائيل هي احد المرتكزات الاساسية في السياسة الشرق أوسطية، وتحتل المكانة الرئيسة في سلم أولويات الاستراتيجية الأميركية، كعنصر فاعل وتابع واحياناً كشريك^(٣٦). وقد كشف بيريز عن نيته واهدافه في مقابلة صحفية نشرتها فصلية الشرق الأوسط في مارس ١٩٩٥ م، حين رد على سؤال قول سابق له مفاده (إن هدف إسرائيل المقبل يجب أن يكون الانضمام إلى جامعة الدول العربية)، قائلاً "اعتقد أن جامعتهم العربية يجب أن تسمى جامعة الشرق الأوسط وعندئذ يمكن لإسرائيل أن تنضم اليها، نحن لن نصبح عرباً، ولكن الجامعة يجب أن تصبح شرق أوسطية"^(٣٧). ونتيجة لذلك اهتمت الولايات المتحدة بعد نهاية الحرب الباردة وطول عقد التسعينات من القرن الماضي ومطلع الألفية الثانية بتسوية النزاع العربي - الإسرائيلي، لضمان سيطرة

٣٣ - نفس المصدر، ص ٤٩ و ١٥٠.

٣٤ - علي، سليم كاطع، التواجد العسكري الأميركي في الخليج العربي (الدوافع الرئيسة)، مجلة دراسات دولية، العدد ٤٥، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٣، ص ١٣٩.

٣٥ - ابو راشد، عبدالله احمد، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

٣٦ - المصدر نفسه، ص ٦٨.

٣٧ - الداعور، سيد محمد، الشرق الأوسط الجديد مشروع اميركي يرسم خريطة جديده لمنطقة الشرق الأوسط الكبير ام الجديد، مجلة الجزيرة، ١٦ مارس ٢٠٠٤، مركز الحرمين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

إسرائيل على المنطقة ودخولها في المنظومة العربية، وهذا ما أكدت عليه الاستراتيجية الأوربية أيضاً، التي أشارت إلى أن تسوية النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي تشكل أولوية استراتيجية لأوروبا، وفي غياب مثل هذا الحل لن تكون هناك فرصة لتسوية المشاكل الأخرى في الشرق الأوسط، ولهذا السبب من الضروري إعادة إطلاق نهج السلام في الشرق الأوسط^(٣٨).

ويرى برجنسكي أن الدور الجديد للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط يتطلب تغييراً جدياً في التأكد على التعامل مع النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني^(٣٩). فالحديث عن ديمقراطية الشرق الأوسط في ظل التداخل الفكري والسياسي بين إسرائيل والولايات المتحدة لا يحمل جديده واضحة من الولايات المتحدة، ولهذا فإن التحلي بالصفة الديمقراطية لا يكفي لتسوية دعم إسرائيل ولا لتفسير مثل هذا الدعم، وهذا من شأنه أن يعرض منطق الديمقراطية المشتركة للاهتزاز بسبب جوانب من الديمقراطية الإسرائيلية المتناقضة مع قيم أميركية جوهرية^(٤٠). فعلى مدار ٦٠ عام وخلال سيطرة أميركا على المنطقة واعتمادها المتزايد على النفط، تصرف أميركا بطريقة أنانية في الشرق الأوسط، فقد دعمت التعاون مع الأنظمة الدكتاتورية وحاربت القادة الشعبيين الذين قاوموا السيطرة الأميركية. وخلال هذه الفترة حاولت أميركا إعادة نشر القيم الأميركية في المنطقة، فقد تدخلت أميركا لحماية الانتخابات الديمقراطية في لبنان عامي ١٩٥٨ و ١٩٨٣م، وحررت الكويت عام ١٩٩١م، وطلقت العديد من مبادرات السلام بين العرب وإسرائيل، وقصة تدخل واشنطن ما بعد الحرب الباردة في الشرق الأوسط تمثل صراعاً للتوفيق بين كونها قوة عظمى ومع دورها كبطل للحقوق الوطنية والفردية. وفي إعادة التفكير بمستقبلها في الشرق الأوسط يجب على أميركا أن تعتمد على الأهداف الواقعية، وإن تحافظ على أسبقيتها في المنطقة، وإيجاد تسوية للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. وفي الوقت نفسه يجب على صناع السياسة في أميركا أن يدركوا أن لديهم سجلاً طويلاً من الخير في حماية الحريات الأساسية في الشرق الأوسط، والترويج للديمقراطية. إن أميركا بحاجة إلى نظره متعددة الإبعاد تحافظ فيها على أسبقية مصالحها وخلال ذلك عليها أن تدعم وتؤيد تراثها الجدير بالاحترام^(٤١). وهذا يعني أن أميركا يجب عليها المضي قدماً في مشروعها الشرق أوسطي ودعم ديمقراطيتها في المنطقة.

٣. تغير البيئة السياسية وانتهاء الحرب الباردة

نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي هيمنة مطلقة لا ينازعها احد حتى الآن ترتب على ذلك سيادة مفاهيم وسياسات الولايات المتحدة، وفي هذه المرحلة تسعى

٣٨ - نص المشروع الفرنسي الألماني من اجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط، صحيفة الحياة ٣/٧/٢٠٠٤، منشور ضمن سلسلة قضايا حقوق الانسان، كتاب غير دوري يعبر بالقضايا الفكرية لحقوق الانسان والديمقراطية، الاصدار التاسع، دار المستقبل العربي، مصر، ٢٠٠٤، ص ٣٥٦.

٣٩ - ليفين، اناتول، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٩.

٤٠ - ميرشايمر، جون وجي ووالث، ستفن ام، أميركا المختطفة اللوي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية، ترجمة فاضل جنكر، ط١، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦، ص ٣٦.

٤١ - أورين، ميشيل، مصدر سبق ذكره، ص ١١٥.

الولايات المتحدة مستغلة المتغيرات الدولية، لاستثمار هذه الفرص من اجل تكريس هيمنتها الدولية وتعزيز نفوذها في المنطقة، ولعل في هذين الهدفين علاقة محكمة في الادراك السياسي الاميركي، ويقول جان بيرشنفمان وزير الدفاع الفرنسي خلال حرب الخليج الثانية عن ذلك " لقد استغلت الولايات المتحدة انهيار الاتحاد السوفيتي واصبحت السيدة الوحيدة لمنطقة الشرق الأوسط^(٤٢).

ووضعت مرحلة ما بعد الحرب الباردة صانع القرار الاميركي امام مرحلة جديدة، فالعدو السوفيتي تفكك، ليجد بعد ذلك العقل السياسي الاميركي فرصته في التفرد بالنظام العالمي.

أدى انتهاء الحرب الباردة إلى حدوث انقلاب في الميزان الاستراتيجي العالمي، بحيث أصبحت الولايات المتحدة القوى العظمى الوحيدة في العالم، الا أن هذا التحول لم يؤثر على هياكل النظام الدولي أو مؤسساته بل أصبحت الولايات المتحدة صاحبة القوة والنفوذ والتأثير القوي على الإطلاق في الساحة الدولية، ليأتي ذلك في مقدمة المتغيرات الدولية المؤثرة على العمل العربي المشترك^(٤٣). وطرحت نهاية الحرب الباردة مع زوال الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج ضد الغزو العراقي للكويت، وانتصار الولايات المتحدة على المنظومة السوفيتية دون حرب، فرصا عديدة للمضي قدماً في تطبيق مشروعها المتجدد للشرق الأوسط^(٤٤). وهذا ما يسميه ريتشارد هاس بالعصر الرابع من عصور الشرق الأوسط، التي أشرنا إلى ثلاث منها وكيف قوضت تلك العصور، اما العصر الرابع الذي جاء في اعقاب انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، فقد اتاح للأميركيين قدره على التأثير وحرية في التحرك بشكل غير مسبوق، وانتصارهم في معركة تحرير الكويت، وانتشارهم العسكري الطويل الامد براً وجواً في شبه الجزيرة العربية، وقيادة الجهود الدبلوماسية بهدف إيجاد حل شامل للنزاع العربي - الإسرائيلي. ويطلق البعض على هذه المرحلة تسمية الشرق الأوسط القديم، الذي برز فيه العراق كنظام معادي لكن ضعيف، وإيران كدولة اصولية لكنها مقسمة وضعيفة نسبياً، وإسرائيل الدولة النووية الوحيدة في المنطقة، كأقوى لاعب اقليمي في وقت شهدت فيه تلك المرحلة العديد من المظاهر، ابرزها التقلبات في اسعار النفط، واستمرار وجود أنظمة عربية قمعية وصعوبة التعايش بين إسرائيل والفلسطينيين وبقية العرب، في ظل التفوق الاميركي^(٤٥). أدت انتهاء الحرب الباردة إلى اختفاء هامش المناورة الاستراتيجية ما بين الكتلتين الشرقية والغربية، وهبت رياح التغيير الديمقراطي، لتعصف بمختلف الأنظمة التي كانت تسير في فلك الاتحاد السوفيتي، واصبحت قضية الديمقراطية وقضية حقوق الانسان قضايا عالمية^(٤٦).

اما العوامل التي ادت إلى أیصال هذا العصر إلى نهايته، بعد اقل من عقدين، فمنها البنيوي ومنها ما هو مستحدث ذاتياً، حيث جاء غزو العراق في عام ٢٠٠٣م، الذي كان العراق السني، من أولى ضحاياه

٤٢ - العفيفي، محمود حسن، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

٤٣ - المصدر نفسه، ص ٦٢.

٤٤ - ثابت، احمد، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.

٤٥ - هاس، ريتشارد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

٤٦ - العزي، سويم، السلوك السياسي في المجتمع العرب، ب ط، دار الألفية، المغرب، ١٩٩٢، ص ١٣٢.

بعدما كان قوياً فاعلاً بما يكفي لمواجهة إيران الشيعية، وهكذا استفاقت التوترات السنية الشيعية في ظل هذا البلد، وعلى امتداد الشرق الأوسط بعدما كانت راكدة، وتحول الصراع من عربي إسرائيلي إلى عربي — عربي، وصراع سني — شيعي، حيث اتخذ الارهابيون قواعد لهم في العراق، وقاموا بتطوير تقنياتهم وتصديرها، بحيث أصبحت مسألة الديمقراطية مرتبطة بفقدان الامن ونهاية التفوق السني هذا من جهة. من جهة ثانية تسبب غزو العراق بتقليص نفوذ الولايات المتحدة في العالم، نتيجة لتنامي الشعور المعادي للأميركيين. فكان من سخرية القدر أن تكون حرب الخليج الأولى التي عدت حرباً ضرورية، قد شكلت بداية للعصر الأميركي في الشرق الأوسط، فيما جاءت حرب الخليج الثانية، التي عدت حرب خيار لنتهي ذلك العصر. إلى ذلك برزت عوامل أخرى ساهمت في فقدان واشنطن نفوذها في المنطقة، ومنها انهيار عملية السلام، كنتيجة للفشل لمفاوضات كامب ديفيد في العام ٢٠٠٢م، وضعف خليفة ياسر عرفات، وصعود حماس والنزعة الإسرائيلية الاحادية، وعدم قدرة إدارة بوش على مواصلة العمل الدبلوماسي، وهكذا خسرت الولايات المتحدة دوراً فريداً، كانت قد استطاعت من خلاله أن تتواصل مع العرب والإسرائيليين معاً. عامل آخر أيضاً أدى إلى انتهاء العصر الأميركي، وهو فشل الأنظمة التقليدية في مواجهة تنامي الأصولية الإسلامية، فيما انتظر الأميركيون حتى وقوع هجمات ٩/١١ / ٢٠٠١م، لكي يتأكدوا من أن المجتمعات المغلقة باتت تشكل الحاضنة الأصولية، إلى ذلك ساهمت العولمة في تغير المنطقة، حيث بات من السهل للأصوليين الحصول على التمويل والأسلحة والمتطوعين، والافكار، فيما ساهم الإعلام الجديد، بعد انتشار الفضائيات في تحويل العالم العربي إلى قرية اقليمية ميسرة، حيث بدأت الشاشات تبث مشاهد العنف والدمار في العراق، وسوء معاملة السجناء العراقيين والمسلمين والمآسي في الضفة الغربية، ما أدى إلى زيادة المسافة بين شعوب المنطقة والولايات المتحدة^(٤٧). وهكذا باتت حكومات المنطقة تواجه صعوبة في التعاون مع الولايات المتحدة التي بدء تأثيرها يتضاءل، وانعدام الثقة بالولايات المتحدة من زرع الديمقراطية في المنطقة. وربما نحن اليوم بصدد تشكيل العصر الخامس والسادس من عصور الولايات المتحدة في المنطقة خصوصاً بعد الربيع العربي وتغير كثير من الأنظمة وظهور ما يسمى بالدولة الإسلامية "داعش" بشكل غير طبيعي في المنطقة.

٤. أحداث ١١ / أيلول سبتمبر ٢٠٠١م.

تعد أحداث ١١ / أيلول من اهم الدوافع التي دفعت بالولايات المتحدة لصياغة واطلاق مشروع الشرق الأوسط الكبير، ويمكن أن نعود إلى ما قبل الاحداث، وهو التاريخ الفاصل في توجهات واشنطن نحو المنطقة، حيث كانت تؤمن الإدارة الأميركية مصالحها من منطلق عاملين اساسيين: الأول وجود ما يمكن أن نسميه اصدقاء مقربين للولايات المتحدة بالمنطقة، والاخر قيام الادارة الأميركية نفسها من خلال اجهزتها بالتغلغل تحت مزايم التعاون ومساعدة المجتمعات العربية على النهوض والتنمية في شكل ما يعرف ببرامج المعونة الأميركية وغيرها من اشكال التدخل المتخصص في شؤون المنطقة. اما العامل

الثاني فبعد وقوع أحداث ١١/أيلول واعتقاد الأميركيين أن العرب والمسلمين وراء هذه الأحداث يمكن القول أن واشنطن لم تعد تثق في قدرة النظام الرسمي العربي على حماية مصالحها وأن تأمينها بالخارج امر لم يعد يجدي وحده مما حدث من اعتداءات في سبتمبر داخل الولايات المتحدة، ومن هنا تصور الفكر الأميركي أن استراتيجية الامن القومي الاميركي يجب ان تستند على إحداث تغير جذري في النظم التي تعتقد انها مسؤولة عن تفريخ من قاموا بعمليات سبتمبر وأن الصداقة وحدها لا تكفي^(٤٨). لتأتي تلك الأحداث لتملأ الفراغ الأميركي الذي خلفه الاتحاد السوفيتي عبر عدو جديد اصاب اميركا في عقر دارها، واصبح الارهاب هو العدو المركزي، ليتسخ بعد تلك الأحداث ادراك سياسي اميركي في مراكز الدراسات، قبلت به الإدارة الأميركية، معلنة محور رؤيتها للشرق الأوسط، ويقوم هذا الادراك على أن القاعدة هي نتاج للازمات الداخلية العربية، وانها بمثابة الكرة الملهبة التي القت بها الحكومات العربية في وجه العالم الغربي، وبالتحديد الولايات المتحدة، وأن السلاح الانجح في مواجهة الارهاب هو رمي الكرة مرة اخرى إلى الشعب العربي والقيام بضغوطات حقيقة من اجل تغير الأوضاع، فإصلاح العالم العربي هو سلاح في مواجهة الارهاب^(٤٩). متناسين بأن اميركا لعبت دوراً أكبر من دور العربية السعودية فيما يتعلق بالأصولية السياسية لأسامة بن لادن ومنظّمته المرعبة، فالجهود الأميركية التي بُذلت لحشد النشاط السياسي للمسلمين الأتقياء عبر العالم باسم الجهاد ضد الشيوعيين الكفرة في افغانستان كانت سبباً اساسياً في النجاح الباهر لهذه الجماعات التي ساهمت في النهاية بتشكيل القاعدة، وحتى الدور الذي لعبته بلدان مثل السعودية ومصر في المساعد على تجنيد مثل هؤلاء، كان استجابة لرغبات الولايات المتحدة الأميركية وإلى حد كبير^(٥٠). لتلقي تلك الأحداث على النظم العربية عبئاً اضافياً إذ اصبحت متهمّة من الدوائر الأميركية بأنها مسؤولة عن سيادة مناخ ثقافي واجتماعي وسياسي كان بمثابة حاضنه للأفكار الارهابية ومنتجة لها^(٥١). وهو ما زال قائماً إلى الآن، فالأنظمة السياسية العربية هي المسؤولة عن تفريخ التطرف، وهي حاضنة للمتطرفين، حتى لو كانوا هؤلاء المتطرفون يحصلون على دعم دولي منظم، الا أن الدور الاكبر يقع على عاتق تلك الأنظمة في انتشار التطرف في المنطقة.

اضافت أحداث ١١/أيلول ابعاداً جديدة للصورة الانطباعية السلبية للعرب والمسلمين في الذهن الغربي، ومن بين ابعادها أن هؤلاء يمارسون الارهاب بدافع عقيدتهم الدينية وتخلفهم الحضاري^(٥٢). وقد عرفت السياسة الخارجية الأميركية تغيراً دراماتيكياً بعد أحداث ١١/أيلول ومن ثم اعتماد سياسة الحرب

٤٨ - الصياد، ابراهيم، ماذا وراء المشروع الاميركي الكبير، البيان الاماراتية، ٥ مارس ٢٠٠٤، اعداد مركز الحرمين، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

٤٩ - الصافي، عبد الجبار الموسوي، الإسلام السياسي بين اليمين الاميركي وباراك أوباما (الحرب اسهل من السلام) ج ١، ط ١، المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٨٥ - ١٨٥.

٥٠ - تلحمي، شبلي، المخاطر (اميركا في الشرق الأوسط عواقب القوة وخيار السلام)، ترجمة ثائر ديب، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٥، ص ٢٢٧.

٥١ - فرحات، محمد نور، حقوق الانسان في عصر الهيمنة (قراءه لبعض تداعيات حقوق الانسان في الوطن العربي بعد أحداث ١١/أيلول)، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٩.

٥٢ - النجار، احمد حسين، البعد الاقتصادي لمشرق الشرق أوسطي، سلسلة قضايا فكرية، المصدر السابق، ص ٥٨.

على الارهاب^(٥٣). واصبحت الولايات المتحدة تنظر إلى الأوضاع الداخلية في عدد من دول الشرق الأوسط على انها تهديد للأمن القومي الاميركي على اساس أن هذه الأوضاع تربة خصبة لنمو الارهاب والتطرف ليعلن بوش الحرب على الارهاب بكل اشكاله واطلق عقيدته بضرب الارهاب^(٥٤).

أدت ١١/أيلول إلى إحداث تغير في الفكر الاستراتيجي للولايات المتحدة. فالولايات المتحدة تلك القوة التي بدأت في التعامل مع المنطقة العربية والإسلامية منذ القرن التاسع عشر، وشهدت علاقاتها مع المنطقة كثافة ملحوظة في القرن العشرين خاصة مع تحول الولايات المتحدة إلى احدى القوى العالمية، ثم إلى احدى القوتين، ومن ثم تحولها إلى قطب أوحده في السياسة العالمية. لتتبع بعد ذلك مبادرات الشرق الأوسط من اطار فكري تبلورت ملامحه بعد تلك الاحداث، وظهرت ملامح هذا الاطار الفكري في الخطاب السياسي للرئيس الاميركي بوش الابن^(٥٥). حيث القى الرئيس الاميركي جورج بوش خطاب الاتحاد في ٢٩ يناير ٢٠٠٢م، تحدث فيه عن محور الشر الذي يضم إيران وكوريا الشمالية والعراق، وردد الرئيس الاميركي كلاماً يشير بوضوح إلى ضرورة شن حروب وقائية ضد هؤلاء^(٥٦). وهي ما تُرجمت فعلاً على الارض بالحرب على العراق، وقد لوحظ بعد احداث أيلول بشكل واسع، استغلال ادارة بوش لكلمات، الارهاب ومحور الشر، من اجل احكام غلق الابواب لاحتمالات قيام مناقشات ذكية، بشأن الاستراتيجية الأميركية، وكونت ادارة بوش، تعويذات لفظية استنبطتها من العوامل الجوهرية للتوافق الأيديولوجي الاميركي^(٥٧). والتي دفعت بالرئيس الاميركي بالحرب على العراق ٢٠٠٣م، فقبل هذا التاريخ كانت سياسة بوش اتجاه العراق مبنية على اساس العقوبات الذكية التي كانت تهدف إلى احتواء النظام العراقي، وليس الإطاحة به. لكن وجهة النظر تغيرت بعد احداث ١١/أيلول، اذ اصبح على قناعة بأنه لا يمكن للولايات المتحدة أن تنتظر ضربه اخرى، وأن التهديد الذي يفرضه صدام حسين اصبح محدقاً، وهذه القناعات احدثت تحولاً في سياسته^(٥٨). وقبلت أولويات السياسة الخارجية الأميركية، اذ اصبحت القضايا الأمنية تمثل الهاجس الاساس المعلن للسياسات الداخلية والخارجية الأميركية، ومن اجل ذلك تم استبدال نظرية الردع المبنية على توازن القوى إلى نظرية الحرب الاستباقية ضد اعداء محتملين، وبذلك حسم الامر التزام افكار ومنظري المحافظين الجدد، بالتوجه نحو التوسع الاحادي، واعلان الحرب على الارهاب^(٥٩).

٥٣ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٢.

٥٤ - العفيفي، محمود حسن، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

٥٥ - المصدر نفسه، ص ٢٧.

٥٦ - نصار، بهيج، عسكرة السياسة الأميركية وقضايا الحرب والسلام تصورات للمستقبل، قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره،

ص ٣٠٧.

٥٧ - ليفين، اناتول، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩.

٥٨ - روس، دنس، وللقناعات اعتباراتها: السياسة الخارجية الأميركية يشكّلها القادة والاحداث وليس اللوبيات، مقال ضمن مجموعة مقالات بعنوان (وجهات نظر حول النفوذ الإسرائيلي في صياغة السياسة الخارجية الأميركية)، سلسلة ترجمات الزيتونة، العدد ١٨، ٢٠٠٦، ص ٦.

٥٩ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٦.

إن استراتيجية المحافظين الجدد الذين استولوا على القرار السياسي الأميركي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تهدف إلى إعادة تشكيل الشرق الأوسط وتغييره ليتلاءم مع القرن الحادي والعشرين^(٦٠). والذي يعد بوابة إعادة صياغة الشرق الأوسط بالنسبة للمحافظين الجدد، مغلفاً ومربوطاً عندهم بدعاوي أيديولوجية تتعلق بالدمقرطة، واقتصاد السوق، والديكتاتوريات، والأنظمة المارقة^(٦١). لتمثل تلك الأحداث فرصة حقيقة لهم وترويحهم لفكرة الحرب على العراق، لأنها تمثل عامل جوهري من عوامل كسب الحرب على الإرهاب^(٦٢). واصرارهم على تغيير أنظمة الحكم في الشرق الأوسط، باسترجاع الانماط القديمة من العقائد والسلوك الأميركي، ودمج الاستخدام الانتقائي للدمقرطة مع استراتيجيات تشكلت على أسس الواقعية الفاشية، وهو السبيل المركزي في نهج المحافظين الجدد، منذ أن بدأ هذا التيار السياسي خلال العصور الأولى من الحرب الباردة، ذلك النهج الذي يحوي الكثير من الغرور والكذب والرياء بمشروع الديمقراطية^(٦٣). ذلك الفشل والرياء ترجم على أرض الواقع بعد غزو العراق والفشل في العثور على أسلحة الدمار الشامل الموعودة، لتتحول الدوافع بعد ذلك بدوافع الديمقراطية وحقوق الإنسان، لتصبح الذريعة المركزية للحرب، وأن الديمقراطية سوف تشمل ديمقراطية الشرق الأوسط بأكمله، لتتجه الولايات المتحدة نحو سياسة ديمقراطية الشرق الأوسط الكبير، ولكن بمعان أخرى أوسع شمولاً^(٦٤). وقد يكون النفط واستمرار تدفقه للولايات المتحدة أحد تلك المعاني، وبهذا الصدد كتب دونالد كاغان، وهو أحد الأعضاء المهمين في مجموعة المحافظين الجدد، قائلاً: "على الأغلب سنحتاج إلى وجود عسكري مكثف في الشرق الأوسط لفترة طويلة، وأي تعثر لتدفق النفط سيؤدي إلى عواقب اقتصادية وخيمة، ووجود قواتنا في العراق كفيل بمنع أي توقف للإمدادات النفطية"^(٦٥). ولهذا فقد يكون مشروع الشرق الأوسط كلمة حق يراد بها باطل، نعم المنطقة بحاجة لهكذا مشروع، وبحاجة إلى ديمقراطية شاملة، وفي الوقت نفسه يحتاج هذا المشروع إلى الجدية الواضحة، ومصداقية عالية من جانب الولايات المتحدة. "فالحجة الأميركية لوجود عسكري دائم في منطقة الشرق الأوسط امر تم اقراره قبل ١١/أيلول"^(٦٦).

ليس هناك ثمة خلاف في كون الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م، تمثل محطة مهمة في تاريخ العلاقات الدولية، وربما يكمن الخلاف فقط في توصيف طبيعة اللحظة، التي تمت فيها الاعتداءات على نيويورك وواشنطن في ذلك اليوم، حيث يوجد اتجاهان في هذا الصدد:

-
- ٦٠ - الشهري، سعد بن علي بن محمد، الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الانجليزية، ٢٠٠٥، ص ٨٨.
 - ٦١ - المهدي، فراس، البعد الديني في السياسة الخارجية (أميركا نموذجاً)، دراسة لنيل درجة الدبلوم في الشؤون الدولية والدبلوماسية، المعهد العربي لشؤون الدولية والدبلوماسية، سوريا، ٢٠٠٩، ص ٢٨.
 - ٦٢ - ميرشايمر وستيفن، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧.
 - ٦٣ - ليفين، اناطول، مصدر سبق ذكره، ص ١٣ و ٣٥ و ص ١٩٢.
 - ٦٤ - المصدر نفسه، ص ١٩٢ و ص ٢٠٢.
 - ٦٥ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨.
 - ٦٦ - المصدر نفسه، ص ١٤٩.

الأول: يرى انها لحظة فارقة ادت إلى تشكيل سياسة خارجية اميركية جديدة ذات معالم مختلفة عن تلك التي كانت من قبل. أما الثاني: يؤكد انها لحظة كاشفة، بمعنى أن السياسة الخارجية الأميركية بعد الاحداث لم تكن جديدة، فقد كانت اسس هذه السياسة موجودة بالفعل وكل ما فعلته تلك الاحداث انها كشفت ذلك الزيف وقدمتها للعالم في صورتها الحقيقية، خالية من محاولات التجميل الزائفة، كسياسة تنزع بشده نحو الهيمنة على مقدرات عالم ما بعد الحرب الباردة، وبعيداً عن ذلك الخلاف فإن تلك الاحداث انحت بما يعرف بنظرية (الاستثناء الاميركي)، وقد ادت إلى تغير واقعي في السياسة الخارجية الأميركية. وتمثل هذا التغير في جانبين، الأول خاص بمفهوم الامن القومي الذي اصبح غير قادر على حماية الداخل الاميركي، الأمر الذي أدى إلى تطرف السياسة الأميركية وسيطرة المحافظين الجدد على القرار الاميركي، وسعيهم لتعميق الهيمنة الكونية، وتخفيف منابع الارهاب الدولي لتأمين الداخل الاميركي. اما الثاني نحت الادارة الأميركية بتفسيرها لتلك الاحداث بمنحى، أن تلك الاحداث وقعت بسبب غياب الديمقراطية في دول الشرق الأوسط^(٦٧). ومن هنا صارت لديها قناعه بضرورة تغير النظم السياسية غير الديمقراطية في هذه الدول، وهو ما تجلّى بمشروع الشرق الأوسط الكبير.

إذاً ما يمكن القول به أن سياسة الولايات المتحدة بعد احداث ١١/أيلول ٢٠٠١م، وحسب رأي ليفين في كتابه أميركا بين الحق والباطل، "صاغتها وبلورتها ما يسميه بالقومية الأميركية، وهذه القومية هي نتاج اتحاد وانفصال في آن واحد معاً، بين قومية مدنية مسيحية تفاؤليه مؤسسة على القيم والثوابت الشديدة الخصوصية، وتعصب شوفيني مسكون بوسواس عنصري"^(٦٨). ولهذا يعد مشروع الشرق الأوسط والحرب على العراق وافغانستان، ردة فعل على تلك الاحداث، بتبريرات الحرب على الارهاب ونشر الديمقراطية وحقوق الانسان واسلحة الدمار الشامل، فتلك الاحداث غيرت الفكر الاستراتيجي الاميركي لعقود قادمة من الزمن تسربت منها فلسفة الحرب على الارهاب ومفرداتها إلى مجمل السياسة الأميركية، واعادت موضوع ربط الإسلام بالفاشية. لتنتج عن تلك الفلسفة الأميركية مشروع ديمقراطي شرق أوسطي لإصلاح المجتمعات الشرق أوسطية وانظمتها السياسية الديكتاتورية.

المبحث الثاني: المشروع الديمقراطي الاميركي للشرق الأوسط

لاشك ان الحرية وتجسيدها الاجتماعي في الديمقراطية هي جوهر انسانية الانسان فرداً كان أو مجتمعاً، وعلاقات انسانية دولية، وتختلف دلالتها باختلاف الملابس التاريخية والاقتصادية فهي لم تعد (ديموكراتس) اليونانية، أي حكم الشعب التي تحرم العبيد والمرأة والرجل الفقير العادي من الاشتراك في الانتخابات، ولست هي مجرد (دعه يعمل دعه يمر) في المرحلة الأولى لنشأة البرجوازية وهي تغزو المعازل الاقتصادية المغلقة، فالحرية والديموقراطية ليستا مجرد وسيلة أو مجرد غاية، بل هي سيرورة متصلة متنامية ومعنى حي لإنسانية الانسان، ولهذا ترتبط الحرية والديموقراطية ارتباطاً حميماً بالتنمية الشاملة في ابعادها

٦٧ - فينيسي، احمد، الولايات المتحدة وقضية الديمقراطية في الوطن العربي، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره، ص

٢٢-٢٣.

٦٨ - ليفين، اناتول، مصدر سبق ذكره، الغلاف الخارجي للكتاب.

وتحليتها المختلفة المعبرة عن الاحتياجات الأساسية للإنسان^(٦٩). ولهذا فأن المشروع الأميركي للشرق الأوسط جاء من ابواب الديمقراطية والحرية وإصلاح المنطقة، ليحدد تلك النواقص التي جاءت في تقرير الأمم المتحدة للتنمية العربية، (الحرية والمعرفة وتمكين النساء)، فتشجيع الديمقراطية والحكم الصالح كان الأساس في ترسيخ المشروع الأميركي، عن طريق الترغيب بالديمقراطية والانجذاب لها وفق ما يسمى اليوم بالسياسة الأميركية (بالقوة الناعمة)، تلك القوى التي غابت عن السياسة الأميركية في فترة الرئيس بوش الابن وبعد أحداث ١١/أيلول. ولهذا سوف يتناول هذا المبحث مطلبين: المطلب الأول: تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح لتقويض الإسلام الراديكالي. المطلب الثاني: القوة الناعمة ودورها في ترسيخ المشروع الديمقراطي الأميركي في المنطقة.

المطلب الأول: تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح لتقويض الإسلام الراديكالي.

أصبحت الديمقراطية بمثابة حجر اساس للسياسة الأميركية في الشرق الأوسط، وذلك بعد أحداث ١١/أيلول، لتطلق الإدارة الأميركية في سبيل ذلك في العام ٢٠٠٢م، مبادرة المشاركة الجديدة في الشرق الأوسط بهدف تشجيع الديمقراطية في المنطقة، لتخلص من التوجهات التقليدية التي ظهرت في اعقاب تلك الهجمات^(٧٠). لتعلن الادارة الأميركية عن مشروعها بعد ذلك للشرق الأوسط، حيث اعلن كولن بأول وزير الخارجية الأميركية من مؤسسة التراث بواشنطن في ١٢ ديسمبر ٢٠٠٢م، عن مبادرته للشرق الأوسط بأنها "تنوحي تشجيع المشاركة الشعبية في العملية ومساعدة المؤسسات التعليمية والتربوية في سائر ارجاء الشرق الأوسط، ومكافحة الامية، ومؤازرة حقوق المرأة ودعم القطاعين الخاص والعام في العالم العربي وتحقيق الإصلاحات الاقتصادية والاستثمارية، فضلاً عن دفع عجلة التفاهم والشراكة بين شعب الولايات المتحدة والشعوب العربية"^(٧١). وساهمت النواقص الثلاثة التي حددها الكتاب العربي لتقريبي الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية ٢٠٠٢ و٢٠٠٣م الحرية والمعرفة وتمكين النساء، في خلق الظروف التي تهدد المصالح الوطنية لكل اعضاء مجموعة الدول الثمانية، وطالما تزايد عدد الافراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة نشهد زيادة في التطرف والارهاب والجريمة الدولية والهجرة الغير مشروعة^(٧٢). ولهذا صار من الضروري القيام بتغيرات ديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، وأن الولايات المتحدة ستدعم كل الجهود الإصلاحية في المنطقة في اطار مبادرة الشرق الأوسط الجديد^(٧٣). تلك المبادرة التي تهدف إلى تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح، تشتمل على مشاريع يقصد

٦٩ - العالم، محمود امين، الثقافة والديمقراطية والهيمنة الأميركية، قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

٧٠ - الصافي، عبد الجبار الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٥ و ٤٠٧.

٧١ - لبيب، فكري، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٦.

٧٢ - نص مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي قدمته الولايات المتحدة في قمة الدول الثماني، صحيفة الحياة

الدولية، ١٣ فبراير/شباط ٢٠٠٤، سلسلة حقوق الانسان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦.

٧٣ - الصواف، منتصر غازي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

بها تقديم مساعده تقنية لإدارة الانتخابات، وترتيب التبادل البرلماني والتدريب، وإنشاء أكاديميات قيادية انسانية وزيادة الجهود الاقليمية لمحاربة الفساد، وتعزيز منظمات المجتمع المدني الاقليمية^(٧٤).

فالخطة التي تنوي الولايات المتحدة تطبيقها في مشروع الشرق الأوسط الكبير، تقوم على دعم الإصلاحات والتحويلات الاجتماعية والثقافية في منطقة تمتد من المغرب إلى باكستان، وستكون آثار هذه الخطة محدودة على المدى القصير؛ لان الأنظمة الشمولية ترى أن الديمقراطية تشكل تهديداً لمستقبلها وستقف هذه الدول عند حدود الضمانات، ولا سيما واشنطن تعرف أن أجراء انتخابات بين عشية وضحاها لن تؤدي إلى نتائج تتفق مع مصالحها، لكن على المدى البعيد ستعتمد الولايات المتحدة على تأهيل نخب وتمويل حركات ديمقراطية لكي تشارك في تغير تلك المجتمعات من الدول، وينبغي على الولايات المتحدة أن تقوم بهذه المهمة بتواضع، وادراك بأن المخاطر بالنسبة للآخرين تفوق المخاطر بالنسبة للولايات المتحدة، التي ينبغي عليها أيضاً أن لا تقوم بتشجيع التنمية الديمقراطية ومساعدتها فقط، بل عليها أن تصغي إلى أولئك الأكثر تأثيراً^(٧٥). والاكثير تأثيراً هم المعتدلون اصحاب العقول المستنيرة.

قبل هجمات ١١/أيلول لم تكن الديمقراطية في الشرق الأوسط ذات أولوية على اجندة سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، فقد عد بعض الليبراليين أن الطريق الوحيد إلى الديمقراطية في المنطقة كان عبر الديكتاتوريات المستنيرة، عبر الطريق الذي سلكه كمال اتاتورك في تركيا، الا أن الحكمة الرسمية تغيرت بعد تلك الهجمات، فمن الواضح إن الوضع الحالي يشكل خطراً على مصالح الولايات المتحدة^(٧٦)؛ ونتيجة لهذا الخطر قامت الولايات المتحدة وبناءً على تفكير استراتيجي وتحليل ثقافي متعمق، قامت بصياغة استراتيجية (أبستمولوجيا) أي معرفية، لأول مره هدفها الرئيس إعادة صياغة مفاهيم الإسلام الليبرالي، ودعم الجماعات الإسلامية التي تتبناه، وتشجيع المفكرين والمثقفين والإسلاميين والذين يرفعون لواءه. والإسلام الليبرالي، يعني به هذا الاتجاه من اتجاهات تيار الإسلام السياسي، والذي لا يرى تناقضا بين مبادئ الإسلام وقيم الليبرالية والديموقراطية^(٧٧). وهذا بدوره ساعد على نمو حركات الإسلام السياسي وبناء مؤسسات خيرية داعمة للعمل السياسي الإسلامي، مثلما شجع الخط العلماني على النهوض، الا أن عوامل النجاح لم تحالف العلمانيين بقدر ما حالفت الإسلاميين^(٧٨).

٧٤ - ساتلوف، روبرت، شراكة الشرق الأوسط الكبير (عمل ما يزال بحاجة إلى كثير من التطوير)، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦.

٧٥ - هاس، ريتشارد، الهدف هو الديمقراطية الإسلامية (تحول في الأولويات في واشنطن)، سلسلة حقوق الانسان، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣-١٦٤.

٧٦ - رويل، مارك وجيرشن، وساتلوف، روبرت، مأزق الديمقراطية في الشرق الأوسط (الإسلاميون هم الحل)، ملخص حوار سياسي في المنتدى الخاص لمعهد واشنطن، ٢٠٠٥، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سبق ذكره، ص ٤.

٧٧ - بينارد، شيرل، الإسلام الديمقراطي المدني: الموارد، الاستراتيجيات، الشركاء، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، المتابع الاستراتيجي (٨)، مصدر سبق ذكره، ٢٠٠٥، ص ٨-٩.

٧٨ - الصافي، عبد الجبار الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥.

إن السعي إلى تنظيم المجتمع وانشاء حكومة مرتكزة على قانون اسلامي، هي اعظم تحدٍّ أيديولوجي تواجهه الولايات المتحدة اليوم، إن هدف سياسة الولايات المتحدة ينبغي أن تكون لتقويض وهزيمة الإسلاميين الراديكاليين والذين يعارضون التحديث وقيم الديمقراطية. هزيمتهم عن طريق دمج وتنشئة ودعم ائتلاف واسع من غير الإسلاميين ومن المعادين للإسلاموية^(٧٩). فالمشروعات الأميركية للإصلاح الشرق الأوسط تقتضي التفكير في مجموعة من الأسئلة والافتراضات بشأن الحركة الإسلامية ودورها وموقعها في الخريطة السياسية القادمة للمنطقة، فمن المتوقع أن تكون الحركة الإسلامية هي القوة السياسية الرئيسة اذا اجرت انتخابات عامة في بلد عربي أو اسلامي^(٨٠). كما حدث في مصر بعد الإطاحة بنظام مبارك وصعود الإخوان في الانتخابات الرئاسية متمثلة بشخص محمد مرسي قبل الإطاحة به أيضا. وهذا هو احد سليات التحول الديمقراطي المفاجئ الذي تخشاه الولايات المتحدة، في اجراء انتخابات بين عشية وضحاها بعد الاطاحة بالأنظمة الديكتاتورية.

إن سياسة الترويج للديموقراطية في المنطقة تنم هي الاخرى عن نقص في الفهم، ذلك أن معادله الإصلاحات الديمقراطية بالانتخابات البرلمانية تفترض تمتع المؤسسات السياسية الرسمية بالشرعية الذاتية بوصفها ساحة يستطيع فيها الفاعلون الوطنيون أن يتفقوا حول المصالح وأن يتوصلوا إلى حلول حول النزعات التي تواجه المجتمع، غير أن كل ما يجري في البلدان الإسلامية العربية وغير العربية أفريقية وآسيوية يوحي بأن لدى هذا المجتمعات شكوكاً عميقة وواسعة الانتشار من هذه السلطة السياسية الرسمية^(٨١)، هذا فضلاً على أن الولايات المتحدة كما يقول روبرت كيغان انها تعتمد على حلفاء ودول غير ديمقراطية في المنطقة، أهمها مصر والسعودية ومصر قبل الإطاحة بنظام مبارك، وإن الحالات التي تقدمت فيها الديمقراطية قادت أو ربما تقود إلى أنظمة حكم معادية، أو على الأقل غير متحالفة مع الولايات المتحدة الأميركية، وأن أي انتخابات حرة نزيهة في المنطقة ستجلب في الأعم الأغلب الإسلاميين الراديكاليين إلى الحكم أو (المتشددين)، ولم يتردد كيغان في القول، أن الولايات المتحدة لن تسمح بأن يقع الشرق الأوسط في أيدي الإسلاميين، وهذا يعود بنا إلى أمرين، أولهما: عدم ديمقراطية المنطقة بمسوغ خشية قدوم الإسلاميين، وثانيهما: الاقرار بأن ليس من المؤكد أن أي توجه ديمقراطي سوف يقود البلد المعني إلى الانضواء التلقائي في حلف الولايات المتحدة وربما يفرز أنظمة على غرار أنظمة أميركا اللاتينية وجنوب أفريقيا، على الرغم من كونها أنظمة ديمقراطية، لكن لا يمكن عدّها حليفة للولايات المتحدة^(٨٢).

ويعزو معهد السلام الأميركي في تقريره الخاص رقم (١٤٦) لعام ٢٠٠٦م، سبب تأخر العالم الإسلامي في الفرص الاجتماعية والحكم الصالح التي اعطت الفرصة للمتطرفين السنيين في تعزيز نفوذهم

٧٩ - ساتلوف، روبرت، شراكة الشرق الأوسط الكبير، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

٨٠ - حسن، اثير نجاح، الواقع الإسلامي في العراق وانعكاسات الفوضى الخلاقة، ثقافتنا، العدد السابع، مجلة فصلية ثقافية عامة

تصدر عن دائرة العلاقات الثقافية، وزارة الثقافة، ٢٠٠٩، ص ١٢٩.

٨١ - المغراوي، عبدالسلام، السياسة الأجنبية الأميركية والتجديد الإسلامي، موجز لتقرير معهد السلام الاميركي، تقرير خاص

رقم ١٦٤، ٢٠٠٦، ص ٥. انظر الرابط: <http://goo.gl/y7ICKU>

٨٢ - الحروب خالد، في الفكر السياسي الاميركي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨.

خلال تلك العصور هو تفتت السلطة الدينية في الإسلام السني وتردد علماء الدين أو عجزهم من إعادة تفسير التعاليم الإسلامية، ونظراً لعدم وجود سلطة مؤسسة مثل البابوية الكاثوليكية أو ولأية فقيه أو جهة دينية، فضلاً على الفوضى في الفتاوى التي يطلقها من يشاء، فكل تلك التحديات تقوض من سلطة المؤسسات الديمقراطية في إقامة حكم ديمقراطي صالح^(٨٣). وإن أهم مبادرة يمكن أن تقوم بها الولايات المتحدة لمكافحة التطرف الإسلامي تتمثل في مساندة (التجديد الإسلامي)^(٨٤).

يجب أن تنصب جهود الولايات المتحدة الرامية لتحسين صورتها في العالم الإسلامي إلى أبعد من مجرد التأثيرات على الرأي العام الإسلامي من خلال تحسين الاتصال، فلا يمكن أن الافتراض أن المسلمين سيبدلون من مواقفهم اذا قامت الولايات المتحدة ببساطة بتغيير تغليف سياساتها وقيمها، فلا بد من وجود رؤية جديدة واستراتيجية كبرى لخدمة المصالح المشتركة بين الجانبين، ويجب أن يكون قلب هذه الرؤية وهذه الاستراتيجية فكرة التجديد الإسلامي، التجديد بواسطة العلماء والمفكرين المسلمين الراعين لتحديث المجتمعات الإسلامية. فالتجديد كاستراتيجية يمكن أن يحقق التماسك بين كوكبة مهمه ولكنها متفرقة من الأفكار الإصلاحية والإسلامية، وربطها ببرنامج سياسي يتضمن إصلاح قوانين الأسرة بغية اعطاء النساء حقوقاً متساوية، ومراجعة الكتب المدرسية لتدريس حقوق الانسان والتعددية الدينية، وتحديث المجتمعات الخيرية والمدارس الإسلامية والتقاليد الاستشارية^(٨٥). فللتجديد أهمية كبيرة في تحديث المجتمعات الإسلامية، الا أن هناك بعض المشككين في هذه الحركة، ويشيرون إلى مشكلتين: أولهما أن المبادئ القائمة على العقيدة لا يرحح أن تحصل بالدعم السياسي الأميركي لأنها تثير قضايا دستورية شائكة، وثانيهما أن حكومة الولايات المتحدة غير موثوق بها في المنطقة، وأي دور أميركي صريح يمكن أن يقوض برنامج المعتدلين ويؤثر في وضعهم. وحقيقة الامر هاتان المشكلتان في غايه الأهمية؛ لأن المجتمعات الإسلامية سوف ترفض أي تجديد ديني يمس العقيدة الإسلامية برعاية أميركية، لان هناك عدم ثقة بين الولايات المتحدة والمجتمعات الإسلامية؛ وهذا بدوره سيعقد من الأمور بالنسبة للولايات المتحدة، لأن الاخير سيحاول جاهداً لفرض النمط الأميركي في الشرق الأوسط للحفاظ على مصالحها، وهذا ما أشار إليه اناتول ليفين بأن الولايات المتحدة تبدو مقيدة في الشرق الأوسط بشكل دائم، وبلا امل في منطقة غير مستقرة، وعنيفة ومعادية، ومقيدة بقيدين أولهما: هو الدفاع عن النمط الأميركي في المنطقة، وثانيهما هو ارتباط الولايات المتحدة مع إسرائيل، والذي يورط الولايات المتحدة في صراع قومي مع

٨٣ - المغراوي، عبد السلام، المصدر السابق، ص ٢.

٨٤ - التجديد الإسلامي: هي حركة حديثة، اجتماعية وسياسية وفكرية متفرقة ولكنها اخذت في النمو، وتهدف إلى زرع الاعراف الحديثة، والتصدي لاحتياجات الحياة الحديثة بالاستناد إلى التقاليد الإسلامية، وتكون من اربع مجموعات عرضية: ١. دعاة الإسلام المدني وهدفه ليس السلطة. ٢. دعاة الإسلام والديمقراطية التي تهدف إلى السلطة ولا تتعارض مع القيم الديمقراطية. ٣. دعاة الإصلاح من داخل الإسلام، التي تضم الشخصيات الدينية وعلماء دين والمؤسسات الاكاديمية التي تدعو إلى إعادة تفسير التعاليم الإسلامية وإلى قراءة تاريخية للإسلام والقرآن وتحديث المعرفة الإسلامية. ٤. اسلام التحديث الثقافي التي نشأة اساساً بين الطوائف المسلمة التي تعيش في الغرب. للمزيد انظر: المغراوي، عبد السلام، مصدر سبق ذكره.

٨٥ - المصدر نفسه، ص ٨٥ و٨٦.

القومية العربية والتطرف الإسلامي، وهو على ما يبدو سيستمر في المستقبل^(٨٦)، وهو الامر نفسه الذي أفقد الولايات المتحدة مصداقيتها بالمنطقة، وربما هذا سيؤدي بالولايات المتحدة إلى القبول بالحركات الإسلامية في السلطة اذا احترمت قواعد اللعبة الديمقراطية، وهذا ما يعبر عنه ريتشارد هاس مدير التخطيط السابق بوزارة الخارجية الأميركية في محاضرة بعنوان (نحو مزيد من الديمقراطية في العالم الإسلامي)، وينحو البرتو فرنانديز المسؤول في شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأميركية أيضاً، بنفس المنحى حيث يؤكدان أن الإدارة الأميركية لا تمنع اليوم من رؤية حركات إسلامية في السلطة بشروط معينة، أهمها القبول بالعملية السلمية للقضية الفلسطينية، والقبول بالتعددية السياسية والفكرية، واحترام حقوق الأقليات والحريات العامة وحقوق المرأة^(٨٧). وربما تحديث المنطقة بهذه الطريقة سيكون أسوء الخيارات بالنسبة للولايات المتحدة (التحديث على يد الإسلاميين بشروط معينة وليس المعتدلين الذاتيين)؛ لأنها تواجهه مشكلة في تحديث المنطقة وفق الرؤية الأميركية الخاصة بها، وهذا بدوره قد يولد أنظمة سياسية حليفة للولايات المتحدة على غرار تلك الأنظمة السياسية التي كانت مدعومة من قبلها ابان الحرب الباردة وحتى أنظمة معاصرة على غرار العربية السعودية ودول الخليج فهي أنظمة غير ديمقراطية، وتقيّد الحريات الفردية والدينية بشكل كبير، ولكنها أنظمة صديقة وحليفة للولايات المتحدة، أو يؤدي ذلك إلى تحول في الاستراتيجية الأميركية بمشروع ديمقراطية الشرق الأوسط، وهذا التحول قد يكون بشكل تدريجي وبوسائل وآليات أكثر مقبولة لدى المجتمع العربي، وعلى المدى البعيد والتخلي عن فكرة الديمقراطية الفورية التي لم تعد مجدية خصوصاً بعد تجربة العراق وافغانستان، وهذا ما اكدت عليه وزيرة الخارجية الأميركية السابقة مادلين أولبرايت بقولها "يبدو أن الادارة الأميركية تراجعت عن فكرة الإصلاح وفكرة الديمقراطية الفورية، التي تهدد الاستقرار السياسي في المنطقة، وتؤكد على ضرورة اعتماد مبدأ الديمقراطية المتدرجة بعيدة الامد" وتقول أيضاً "بما أن حرمان الشعوب من الحرية السياسية أمر سيء، فهذا لا يعني بأن ممارسة تلك الحرية ستأتي موافقه لهوانا"^(٨٨). وهذا ما بشر به ريتشارد هاس في فرضيات الحرب على الإرهاب، اذ يقول "لا بد من إدراك أن الديمقراطية لا تأثير لها على أولئك الذين كرسوا حياتهم للإرهاب"، وان نساند الديمقراطيين الذين حافظوا على موقفهم الداعي إلى ضرورة التدرج في الإصلاح السياسي في العالم العربي، بالتوازي مع اعتبار المصالح السياسية والامنية الأميركية، وفي نفس السياق دعى برجنسكي إلى تبني الواقعية التقدمية في السياسة الخارجية الأميركية، ويأتي ترتيب الديمقراطية والإصلاح وفق نظرية برجنسكي في المرتبة الرابعة بعد الامن، والقوة الاقتصادية وتجنب الكوارث البيئية، ويدعو برجنسكي إلى الانتقال التدريجي في الديمقراطية بالترغيب وليس بالإجبار والضغط^(٨٩). لأنه لا يمكن فرض الديمقراطية والإصلاح من الخارج وبشكل مفاجئ، فالديمقراطية لا يمكن أن تكون نتاجاً

٨٦ - ليفن، اناطول، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤٤.

٨٧ - الصافي، عبد الجبار الموسوي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧.

٨٨ - المصدر نفسه، ص ١٨٩ - ١٩٠.

٨٩ - المصدر نفسه، نفس الصفحة.

لضغط خارجي، فالعنصر الخارجي قد يعزز التطور الديمقراطي لكنه لا يخلقه من العدم^(٩٠). وهناك حقيقة في غاية الأهمية فيما يتعلق بمصادقية الولايات المتحدة وجديتها في سياستها اتجاه الشعوب العربية؛ لأن تعاملها الطويل مع قادة غير ديمقراطيين في الشرق الأوسط، قد ألحق الضرر بمصداقيتها في المنطقة، ومع أن السياسات القائمة على التغير السياسي والاقتصادي والاجتماعي في العالم العربي قد تشكل مخاطر قصيرة الأمد على مصالح الولايات المتحدة، فإن تلك الاخطار تستحق العناء كما أن المنافع طويلة الأمد لشرق أوسط أكثر ديمقراطية، وأكثر تطوراً اقتصادياً، حيث تفوق تلك المنافع التحديات المحتملة التي قد تواجهها واشنطن في المستقبل المنظور^(٩١). فالديموقراطية والدمقرطة الأميركية تستخدم كمصلحة، وما هو عائدها الانتاجي للولايات المتحدة أولاً ومن ثم النظر إلى الناتج الاجمالي لها بنتائجها العامة، وربما تستخدم في بعض الاحيان لمحاورة الخصوم والإطاحة بهم.

وهذا ما عبر عنه روبرت كيغان في كتابه (عودة التاريخ ونهاية الأحلام) بشكل واضح، بأن مسألة الدمقرطة استخدمت كأداة لمحاورة الخصوم المحتملين، ولم تكن هدفاً لذاته في اجندة السياسة الخارجية الغربية، وهذا الأمر أفقد تلك السياسة صدقيتها، وأضعف مشروعات الدمقرطة المحلية على قاعدة اتهامها بأنها مشروعات غربية تنطوي على أجندات لا تحتفي بالديموقراطية كثيراً^(٩٢)؛ لأن الدعوة الأميركية لدمقرطة العالم العربي بمشروع الشراكة للتنمية ونشر الديمقراطية، لا نجد لها توظيفاً إلا أنها قد حملت الكثير من الوعود والقليل من المصادقية وتضمنت عناصر نظره استعلائية على خيارات شعوب المنطقة، وتناقضت مع الممارسات الظاهرة، ففي عام ٢٠٠٢م، وضع أكثر من ٢٠٠٠ مثقف أميركي من مختلف الديانات والأجناس بمناسبة الذكرى الأولى لأحداث ١١ أيلول أعلنوا فيه عن معارضتهم لسياسة بلادهم القمعية^(٩٣). فالولايات المتحدة الأميركية تسعى بديموقراطيتها المبتكرة في الشرق الأوسط إلى فرض أوضاع وحكومات صديقة وحليفة خاضعه لها وإسرائيل كلياً^(٩٤). فالنجاح الفعلي للسياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط، وفي العالم يتوقف على نجاح الولايات المتحدة في اقامة عراق مستقر ومزدهر وديمقراطي إلى حداً معقول، كما يتوقف على مصير السلام الفلسطيني - الإسرائيلي^(٩٥). وتتوقف ايضاً على إيجاد مخرج سليم للمنطقة العربية بعد الربيع العربي وتداعياته السياسية وعدم الاستقرار السياسي التي تعيشه المنطقة بعد تلك الأحداث، كسوريا واليمن وليبيا فضلاً على العراق. فالعراق كان المخطط الأول لإعادة رسم الخارطة السياسية في الشرق الأوسط، حيث لم يكن متوقعاً بالنسبة للولايات المتحدة، أن الحرب العراقية ستكون مستنقعاً مكلفاً بهذا الحد^(٩٦). أما اليوم فالمنطقة العربية تعيش حالة من التحديات الأمنية

٩٠ - منيسي، احمد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

٩١ - أولبرايت، مادلين، وآخرون، دعماً للديموقراطية العربية لماذا وكيف، تقرير فريق عمل مستقل برعاية مجلس العلاقات الخارجية الاميركي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٦٥.

٩٢ - الحروب، خالد، في الفكر السياسي الاميركي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

٩٣ - فرحات، محمد نور، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢.

٩٤ - لبيب، فخري، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٠.

٩٥ - تلحمي، شبلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٧.

٩٦ - ميرشايمر، جون جي ووالث، ستيفن، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩.

وعدم الاستقرار لاسيما بعد ظهور ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) بشكل ملفت للنظر واصبحت التحدي الأمني والسياسي الأول في المنطقة، وعلى الولايات المتحدة إثبات جديتها ومصداقيتها اتجاه الأنظمة التي انتهجت المشروع الديمقراطي أولاً ومن ثم اتجاه المنطقة ككل، إذا ما أرادت السير قدماً في المنطقة وفي مشروعها الشرق أوسطي وتقويض الإسلام الراديكالي، وهو موقف على ما يبدو ضعيفاً من جانب الولايات المتحدة لمواجهة تنظيم "داعش" والحد من قوتهم وتخفيف منابع تمويلهم. فالولايات المتحدة إذا ما أرادت لمشروعها النجاح في تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح عليها أن تثبت جديتها في تقويض ما يسمى بالدولة الإسلامية وتخفيف منابعهم الفكرية والتمويلية، واخذ موقف صارم من أولئك الذين يمولونهم من دول وشخصيات وأنظمة سياسية وإعلامية.

المطلب الثاني: القوة الناعمة ودورها في ترسيخ المشروع الديمقراطي في المنطقة.

فقدت الولايات المتحدة بشكل عام قدرتها على التأثير في الأحداث في الشرق الأوسط، ويعني ذلك ضعف قدرة أوباما على تشكيل الأحداث وممارسة نفوذه عليها^(٩٧). فبعد قرابة ثلاث عشر سنة من أحداث ١١/أيلول ومازالت الولايات المتحدة تفتقر إلى استراتيجية متكاملة ومستدامة لمواجهة التطرف الديني في العالم الإسلامي، فعدم الاستقرار في العراق وأفغانستان تثير الشكوك حول قوة الزخم الحالي للحرب على الإرهاب، بل إن فرص نجاحات الإسلاميين المتشددين في الانتخابات البرلمانية تضعف من الأمل في تشجيع الديمقراطية^(٩٨). فالتحديث والإصلاح السياسي ودمقرطة الشرق الأوسط عن طريق الإسلام السياسي أو العلماني تارة، أو عن طريق المجددين تارة أخرى لم تأت أوكلاها على سياسة الولايات المتحدة. فمنذ أحداث ١١/أيلول طرحت كثير من المبادرات لمواجهة التحديات الناشئة في العالم الإسلامي وحظيت ثلاث مبادرات منها في عهد بوش، وهي مبادرة الحرب على الإرهاب، ومبادرة الشراكة لشرق الأوسط للنهوض بالإصلاح. أما المبادرة الثالثة والتي ستكون محور اهتمامنا هي حملة الدبلوماسية العامة لتحسين صورة الولايات المتحدة لدى العالم، هي ما تسمى بالقوة الناعمة، وعلى الرغم من أن كل هذه المبادرات يمكن أن تندرج ضمن مشروع واحد، وهو مشروع الشرق الأوسط الأميركي بمسمياته المختلفة^(٩٩).

يعرف جوزيف نأي القوة في كتابه (القوة الناعمة)، "بأنها القدرة على التأثير في الأهداف المطلوبة، وتغيير سلوك الأطراف عند الضرورة"، أما القوة الناعمة هي "القدرة في الحصول على ما تريد من خلال الإقناع وليس الاكراه" وأدواتها تتمثل في القيم السياسية والثقافية، والقدرات الإعلامية والتبادل العلمي والفكري والسياسة الخارجية القادرة على مد الجسور وإقامة الروابط والتحالفات، أما القوة الصلبة فهي تقوم على الإكراه والقسر، وأدواتها هي الامكانيات العسكرية والقدرة على فرض العقوبات الاقتصادية

٩٧ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٥.

٩٨ - المغراوي، عبدالسلام، مصدر سبق ذكره، ص ٢.

٩٩ - المصدر نفسه، ص ٤.

والسياسية^(١٠٠). وقد دار حوار داخل الدوائر الرسمية الأميركية حول الاستراتيجية الواجبة والفعالة لتحقيق المصالح الأميركية في الشرق الأوسط، وهذا الحوار افرز تيارين، التيار المحافظ المتمثل في الحزب الجمهوري، ويؤمن بفلسفة القوة العسكرية والاقتصادية لتحقيق الحفاظ على تلك المصالح، والتي يطلق عليها القوة الصلبة، على الجانب الآخر برز التيار الليبرالي والمتمثل في الحزب الديمقراطي الذي يرى أن المصالح الأميركية يمكن حمايتها وتحقيقها من خلال تبني القيم الأميركية ونشرها مثل الحرية والديموقراطية وحقوق الانسان والعلاقات الاقتصادية وهي ما يطلق عليها بالقوة الناعمة، لأنها أقل تكلفة وأكثر نجاحاً من القوة العسكرية^(١٠١). وهذا يتطلب تحولاً في السياسة الأميركية من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة، لأنها أقل تكلفة وأكثر نجاعة وإيجابية في النتائج. فالتحول من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة يقتضي من الرئيس أوباما الترويج للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في العالم العربي، وذلك من خلال التركيز على الحكم الصالح في المقام الأول، المفقود حالياً في معظم البلدان العربية، والنخب الآتية إلى الحكم بواسطة الانتخابات والعملية الديمقراطية هي المعول عليها في دفع عجلة التنمية إلى الأمام. وتلك العملية لا تتم في عشية وضحاها، بل تقتضي صبراً هائلاً في الوقت الذي تتم فيه^(١٠٢)، أو ما أسماه برجنسكي، الانتقال التدريجي، والترغيب بالقوة الناعمة وليس الصلبة.

يصف نأي القوة الناعمة بثلاث طرائق: أولهما يفسر القوة الناعمة بأنها الهوية الوطنية، مجمل القيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخاصة بأميركا، القوة الناعمة تمثل شخصية أميركا الجذابة وثقافتها وقيمها السياسية ومؤسساتها. أما الوصف الثاني، فيصفها بأنها وسيلة غير إجبارية تجهد الدولة الأميركية، فالقوة الناعمة هي قدرة الدولة الأميركية في الحصول ما تريده من الاستمالة لا الاكراه أو دفع المال، ودعوة الناس لا إجبارهم. أما الوصف الثالث الذي قدمه نأي، للقوة الناعمة، فهو يرى انها شيء متعلق بالهيمنة الأيديولوجية الأميركية أو الهيمنة العالمية، اذ تصف القوة الناعمة المدى الذي تدرك عنده أميركا اخلاقياً ومعنوياً باعتبارها الزعيمة العالمية الشرعية من قبل الدول والمنظمات والشعوب الأخرى اللاأميركية، ومن أهم مصادرها هي القيمة الثقافية التي تجذب بها الآخرين، والقيمة السياسية الداخلية والخارجية^(١٠٣). أما عن القوة العسكرية وتدخل الولايات المتحدة العسكرية فيعزوها روبرت كيغان بأنها لم تكن لرغبة الولايات المتحدة، وإنما لحماية النظام العالمي من التهديدات التي تستهدف أمنه واستقراره، والحفاظ على المصالح الاقتصادية وحماية المواطنين من الأخطار ومحاربة الإرهاب والديكتاتوريات ونشر الديمقراطية، فالحروب والتدخلات العسكرية للولايات المتحدة شرعية، وإنها أحد أدوات سياستها الخارجية، ويعطي شرعية للهيمنة الأميركية على العالم؛ لأن لولا التدخل الأميركي في تشكيل النظام

١٠٠ - ناي، جوزيف، القوة الناعمة وسائل النجاح في السياسة العالمية، عرض ملخص لكتاب جوزيف نأي، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، كتب استراتيجية، مصدر سبق ذكره، ٢٠١٠، ص ٣.

١٠١ - البرصان، احمد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

١٠٢ - التنير، سمير، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩ - ١٦٠.

١٠٣ - ميرلز، تانر، قوة ناعمة أميركية ام اميرالية ثقافية اميركية، اعداد كولن مويزز، ضمن كتاب الامبريالون الجدد (الأيديولوجيات الامبراطورية)، ترجمة: معين الامام، ط ١، العبيكان، ٢٠٠٨، ص ٣٠٧.

الدولي لكننا بصدد نظام دولي مختلف عما عليه اليوم^(١٠٤). فانتصار المشروع الديمقراطي ودمقرطة الشرق الأوسط، وانتصار الديمقراطيات وما عداها من الأنظمة السياسية ليس لرغبة الأنظمة السياسية في تبني القيم الديمقراطية، ولكن لأن أميركا دولة ديمقراطية في حد ذاتها، وأن انتشار الديمقراطية عالمياً لم يحدث لولا أميركا، واتسع نطاق الديمقراطية باتساع رقعة الولايات المتحدة وتعزيز حرية التجارة بوجه الأنظمة الديكتاتورية والسوفيتية^(١٠٥). وعلى ما يبدو أن أفكار كيغان التي طرحها في كتاب (العالم الذي صنعه أميركا) كانت محور اهتمام أوباما والذي أبدى تأثره بتلك الأفكار حيث قال أوباما له أي شخص يقول لك " أن أميركا في انحطاط أو أن قوتها التأثيرية في تراجع فهو لا يعرف ما لذي يتحدث عنه" ويؤكد كيغان على قيادة الولايات المتحدة للنظام العالمي بشكل منفرد، بالرغم من وجود الأزمات؛ لأن العالم الذي أوجدته أميركا بعد الحرب العالمية الثانية نظام اتسم بغياب الحروب بين القوى الدولية ونمو الاقتصاد العالمي، وتضاعف عدد الديمقراطيات^(١٠٦). لذا ما تزال الولايات المتحدة مهمتها الحفاظ على هذا النظام الذي شكلته وتساهم في تشكيكه إلى اليوم عبر ديمقراطيتها المتكررة في الشرق الأوسط وعملية إصلاح المجتمعات الشرق أوسطية بقوتها الصلبة تارة والناعمة تارة أخرى. وعلى ما يبدو أن كيغان يتجاهل الدعم الأميركي للديمقراطية، ارتبط بالأساس بتحقيق المصلحة الأميركية؛ لأنها تغافلت عن ديكتاتوريات أنظمة الشرق الأوسط من أجل الحفاظ على استقرار المنطقة واستمرار تدفق النفط إلى السوق الأميركية. واستعرض نأي تلك العلاقة بين الولايات المتحدة وأنظمة الشرق الأوسط الديكتاتورية وما طرء عليها من تغيرات، وعلى الرغم من تلك العلاقة، إلا أن أحداث ١١/٩ أيلول دفعت الولايات المتحدة إلى ديمقراطية تلك الأنظمة بالقوة الصلبة، إلا أن تجربة الحرب على العراق دفعت الإدارة الأميركية بقناعة أن التغير الحقيقي للمنطقة يحتاج إلى القوة الناعمة إلى جانب وسائل أخرى^(١٠٧).

يعلق نأي القوة الناعمة الأميركية عبر استثمارها في وظيفتين أخلاقيتين: الأولى هي تخلص العالم من شروخ شبكات الارهاب. اما الثانية فهي مساعدة الشرق الأوسط على التحديث بشكل أكثر كفاءة^(١٠٨). ذلك التحديث الذي يعد ضرورة ملحة على حد تعبير كيغان، لأن عالم ما بعد الولايات المتحدة لا يعمل ولا يساهم في نشر الديمقراطية، على الرغم من أن كيغان يفند ذلك العالم فيما بعد؛ لان القوة المرشحة لقيادة العالم بعد الولايات المتحدة (الصين وروسيا)، هي أنظمة ديكتاتورية تتوجس من الديمقراطية خوفاً على أنظمتها الديكتاتورية، مستنداً بذلك كون هذه القوى عادةً ما ترفض فرض عقوبات على أنظمة ديكتاتورية مثل سوريا وإيران وكوريا الشمالية^(١٠٩). فروسيا والصين هما القوتان اللتان

١٠٤ - عبد المعطي، عمرو، عرض لكتاب رورت كيغان العالم الذي صنعه أميركا، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣، ص ٣.
انظر الرابط: <http://goo.gl/aOxge7>

١٠٥ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

١٠٦ - المصدر نفسه، ص ٢.

١٠٧ - ناي، جوزيف، مصدر سبق ذكره، ص ٦.

١٠٨ - ميلر، تانر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٨.

١٠٩ - عبد العاطي، عمرو، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

تنافسان الولايات المتحدة في المستقبل مثلما تنبأ بذلك برجنسكي. وعلى الرغم من تلك المنافسة والتنبؤات إلا أن البعض يرى في الصين وهي المرشح الأكثر تنافسياً من روسيا للولايات المتحدة في المستقبل، لا يمكنها أن تنافس الولايات المتحدة عالمياً، لأنها ستواجه عقبات اقتصادية وجيوستراتيجية، وهي محاطة بقوى تنافسية على المكانة الدولية فضلاً على ضعف نمو الاقتصاد الصيني، أما روسيا فعادةً ما تدخل في أزمات وأخرها مع أوكرانيا وعقوبات الاتحاد الأوروبي، كما أن انخفاض أسعار النفط الحالية والعقوبات الأوربية أظهرت هشاشة الاقتصاد الروسي التي أدت إلى تراجع الروبل الروسي مقابل الدولار الأميركي بشكل كبير، ومن ثم لا يمكن أن تكون قطباً منافساً للولايات المتحدة، وهذا أيضاً ما أكدته عليه روبرت كيغان، الذي فند تلك التنبؤات المستقبلية، وفند أيضاً مقولات التراجع الاقتصادي الأميركي، والقوة العسكرية ودحض مقولات التمدد المفرط التي تحدث عنها بول كندي في كتابه (صعود وسقوط القوى العظمى)^(١١). زيادة على ذلك فالولايات المتحدة تمتلك قوة تأثيرية جذابة (النموذج الأخلاقي) الذي يعد أحد المصادر الناعمة لديها.

فالنموذج الأخلاقي والقوة التأثيرية والجذابة للولايات المتحدة بقواها الناعمة تعد أكثر مقبولة وأكثر نجاعة من القوة العسكرية في ترسيخ المشروع الديمقراطي الأميركي في المنطقة؛ لأن ذلك سيبعد المنطقة عن ويلات ودمار الحروب، فالمشروع طويل الأمد لا يؤدي إلى نتائج سلبية مباشرة، على العكس من التحول الديمقراطي المفاجئ، فالتحول الديمقراطي التدريجي يتطلب ثقافة ديمقراطية وأرضيه خصبة لذلك التحول، وهذه الأرضية يمكن تهيئتها بوسائل الترغيب الناعمة وليس بالقسر والإجبار، ولعل في العراق وبعض دول الربيع العربي تجربة واضحة من التحول الديمقراطي المفاجئ، وما جلبه ذلك التحول من دمار وعدم استقرار، فنجاح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط يعتمد على فهمها الأكثر عمقاً لدور القوة الناعمة، وتطوير توازن سليم بين القوة الناعمة والقوة الصلبة، وإدارة القوتين بقدر عالٍ من الوعي بأوجه التشابه والاختلاف بينهما وطرق تأثير كل منهما على الأخرى، لينتج عن امتزاج القوتين ما يطلق عليها بالقوة الذكية، وهذا يتوقف على إدراك الإدارة الأميركية للأخطاء الماضية ووسائل توظيف تلك القوى فيما بعد إذا ما أرادت النجاح في مشروعها الشرق أوسط.

الخاتمة

ماتزال الولايات المتحدة الأميركية تفتقر إلى استراتيجية واضحة ومستدامة في الشرق الأوسط والمنطقة العربية. فمنذ أحداث ١١/أيلول ٢٠٠١م، ومنطقة الشرق الأوسط تشهد أزمات كبيرة وعدم استقرار، فاستراتيجية الحرب على الإرهاب الذي أعلن عنها بوش الابن ماتزال تدور حول نفسها وكأنها أعلنت فقط لإلقاء التهم على الإسلام وأنظمة الشرق الأوسط وإسقاط نظام صدام حسين، والسعي وراء تحقيق المصالح، ولم تحد من خطر الإرهاب والعمليات الإرهابية لا في العراق ولا في منطقة الشرق الأوسط بل على العكس من ذلك حيث أصبحت اليوم المنطقة ساحه للعمليات الإرهابية ولاسيما بعد ظهور ما

يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية "داعش". كذلك الأمر بالنسبة لاستراتيجية الشراكة والمبادرة الأميركية الشرق أوسطية لتنمية البشرية لمشروع الشرق الأوسط الكبير، لتشجيع الديمقراطية والحكم الصالح وتقويض الإسلام الراديكالي، لم تأت أوكلاها للحد من الإسلاميين المتطرفين، بل على العكس من ذلك تماماً فالיום الجماعات المتشددة أصبحت أقوى من أي وقت مضى في ظل غياب استراتيجية واضحة لمجابهة تلك الجماعات والحد من خطرها وتخفيف منابع تمويلها، وربما أوباما على حق حينما قال "إن الولايات المتحدة ليس لها استراتيجية، وليس لها برنامج محدد حتى الآن للعمل وفقه" فالولايات المتحدة اليوم تخوض حرباً ثلاثية الأطراف ضد تنظيم (الدولة الإسلامية في العراق والشام) وضد نظام بشار الأسد، فضلاً على القضية النووية الإيرانية والجولات التفاوضية حول البرنامج النووي الإيراني، فالشرق الأوسط في حالة فوضى، والولايات المتحدة عالقة في الوسط بين مصالح وحلفاء، لا يمكن التخلي عنها ولا تحويل مسارها. إلا أن بالرغم من ذلك ستحاول الولايات المتحدة الحفاظ على مصالحها في المنطقة وهي قادرة على ذلك حتى في ظل التحديات الأمنية التي تواجهها. وأن أي نتيجة سياسية متركزة حول إجراء تغيير جذري في المنطقة وإنهاء حالات التفشي المشابهة لحالة "داعش" اليوم محكوم عليها بالفشل؛ لأن الشرق الأوسط بوتقة من التعقيد والاحتلال والصراعات. وعلى الولايات المتحدة أن تبقى منخرطة فيه نظراً للمصالح الحيوية التي أعاد الرئيس أوباما التأكيد عليها - وهي مكافحة الإرهاب ووقف الانتشار النووي ودعم الحلفاء والشركاء وتسهيل تدفق النفط والغاز - إلا أنه ليس بإمكانها "إصلاح" المنطقة. وهناك بعض الاستنتاجات التي توصلت لها الدراسة وهي:

١. إن الولايات المتحدة ما زالت تفتقر إلى استراتيجية واضحة في تعاملها مع قضايا الشرق الأوسط، ولم تعد تمتلك ذلك الدور الريادي المؤثر في المنطقة، فهي على ما يبدو غير قادرة على فرض نمط ديمقراطي معين، فضلاً على التحدي الأمني المتمثل بتنظيم "داعش" وضعف استراتيجيتها العسكرية لمواجهة ذلك التنظيم هذا من جهة. ومن جهة أخرى، إن الولايات المتحدة مازالت عاجزة عن حل الصراع السوري والإطاحة بالرئيس الأسد، وفشلها في إخراج سوريا من فلك إيران وروسيا. فضلاً عن أن مفاوضات واشنطن مع طهران بشأن برنامج إيران النووي لم تثمر شيئاً بالنسبة للولايات المتحدة لحد الآن على الرغم من استمرار تلك المفاوضات. وأيضاً ضعف الموقف السياسي والدعم العسكري الأميركي اتجاه العراق والتنصل عن تفعيل بنود الاتفاقية الاستراتيجية الموقعة بين البلدين، وعدم جديتها في درء خطر تنظيم "داعش" ودعمها لأطراف معينة في العراق على حساب أطراف أخرى قد يؤدي بنتائج عكسية على الولايات المتحدة.
٢. إن الديمقراطية تنمو ببطء، وليس من خلال ثورات عنيفة، وعلى واشنطن أن تتفادى الرغبة في تحقيق ديمقراطية في شرق أوسط ما يزال غير مهياً لها، فالحركات الثورية التي تطيح بأنظمة استبدادية غير كفؤة غالباً ما تجلب الى السلطة أنظمة سياسية أسوأ بكثير على الولايات المتحدة. لذلك يجب تجنب ذلك التحول الديمقراطي المفاجئ والتركيز على الوسائل الأخرى لأكثر مقبولية في زرع القيم الديمقراطية أو ما تسمى بالقوة الناعمة.

٣. تشخيص بعض الدراسات الأميركية تأخر العالم الإسلامي بسبب ما أسمته الإسلام السني؛ وذلك بسبب تفتيت السلطة الدينية وعجز علماء الدين في تفسير التعاليم الدينية، وعدم وجود مرجعية دينية لهم على غرار سلطة البابا الكاثوليكية أو ولأية الفقيه، وهذا التشخيص ربما يحمل موضوعية وواقعية كبيرة، لأن جل الفصائل المنضوية تحت لواء تنظيم الدولة الإسلامية هي فصائل سنية، وهذا يعد خللاً كبيراً في المؤسسة الدينية السنية، ولهذا تحاول الولايات المتحدة اليوم كسب ثقة السنة ولم شملهم ولاسيما سنة العراق، ولعل مؤتمر أربيل لجمع الأطراف السنية المختلفة كان خير دليل على ذلك؛ فالولايات المتحدة اليوم تدعم التقارب السني لمواجهة خطر انتشار ما يسمى بتنظيم (الدولة الإسلامية في العراق وسوريا) وخطر النفوذ الإيراني وغيرها من دول المنطقة. وربما تمهيداً ودعماً لإقامة الإقليم السني في العراق.
٤. لم تكن هناك جدية واضحة في استراتيجية الولايات المتحدة في تقويض الإسلاميين المتشددين والحد من خطر تلك التنظيمات الإرهابية، فإذا ما أرادت الولايات المتحدة أن تقوض تلك الجماعات فلا بد من تخفيف منابع تمويلها فكرياً ومادياً وفرض العقوبات الصارمة على الدول التي تدعم وتتعاون مع تنظيم "داعش" مثل تركيا وبعض الدول الخليجية، فالتنظيم اليوم يبيع النفط أمام مرأى العالم والولايات المتحدة.
٥. إن التحول الفكري في الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأميركية من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة، جاء لتصحيح الأخطاء التي ارتكبتها الإدارة الأميركية السابقة وعجزها في النجاح لكسب شعوب المنطقة.
٦. مع كل التحديات الأمنية والسياسية وعدم الاستقرار في المنطقة التي تواجه الولايات المتحدة الأميركية، إلا أنها مجبرة على الانغماس في منطقة الشرق الأوسط للحفاظ على مصالحها وحماية حلفائها.

المصادر

أولاً: الكتب

- ابو راشد، عبد الله احمد، العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، ط١، دار الحوار، ١٩٩٩.
- التينير، سمير، اميركا من الداخل (حروب من اجل النفط)، ط١، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠١٠.
- تلحمي، شبلي، المخاطر (اميركا في الشرق الأوسط عواقب القوة وخيار السلام)، ترجمة ثائر ديب، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٥.
- جلال، شوقي، العولمة الهوية والمسار، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٧.
- الرفوع، فيصل عوده، الغرب والصراع العربي الصهيوني في ظل الإسلام السياسي، مركز دراسات الشرق الأوسط، (التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط)، ط١، عمان، ٢٠٠٠.

- زكي، صلاح احمد، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي، ط١، دار العالم الثالث، القاهرة، ١٩٩٥.
- الشهري، سعد بن علي بن محمد، الجذور الاعتقادية للإرهاب في الاصولية الانجليزية، ب ط، ٢٠٠٥.
- الصافي، عبد الجبار الموسوي، الإسلام السياسي بين اليمين الاميركي وباراك أوباما (الحرب اسهل من السلام) ج ١، ط ١، المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠٠٩.
- العزي، سويم، السلوك السياسي في المجتمع العربي، ب/ ط، دار الألفية، المغرب، ١٩٩٢.
- كورت، مايكل وكورنية، ميشيل، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأميركية، ترجمة زين نحاتي ونشأت جعفر، ج ١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، لوس انجلوس، ٢٠٠٢.
- ليفين، اناتول، اميركا بين الحق والباطل (تشريح القومية الأميركية)، ترجمة ناصر السعدون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨.
- ميرلز، تانر، قوه ناعمة اميركية ام امبريالية ثقافية اميركية، اعداد كولن مويرز، ضمن كتاب الامبرياليون الجدد (الأيديولوجيات الامبراطورية)، ترجمة: معين الامام، ط ١، العبيكان، ٢٠٠٨.
- ميرشايمر، جون وجي ووال، ستفن ام، اميركا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية، ترجمة فاضل جنكر، ط ١، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

- الصواف، منتصر غازي، تأثير المحافظين الجدد على السياسة الخارجية الأميركية اتجاه سوريا ما بعد احداث ١١/أيلول ٢٠٠١، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم العلوم السياسية، سوريا، ٢٠١٣.
- العفيفي، محمود حسن، مشروع الشرق الأوسط الكبير واثره على النظام الاقليمي العربي، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة الازهر، كلية الآداب والعلوم السياسية، غزة، ٢٠١٢.
- العيساوي، ميثاق مناحي، البراغمية في الفكر السياسي الاميركي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية العلوم السياسية جامعة بغداد، ٢٠١١.
- المهتدي، فراس، البعد الديني في السياسة الخارجية (اميركا نموذجاً)، دراسة لنيل درجة الدبلوم في الشؤون الدولية والدبلوماسية، المعهد العربي لشؤون الدولية والدبلوماسية، سوريا، ٢٠٠٩.

ثالثاً: البحوث والتقارير

- أورين، ميشيل، فطيرة التفاح والشرق الأوسط (لقد حاولت اميركا ولفتره طويله ان توجه الشرق الأوسط نحو القيم الأميركية، لوس انجلوس تايمز، ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٧، اعداد: مركز الحرمين، <http://goo.gl/EbFMss>.
- البرصان، احمد سليم، مبادرة الشرق الأوسط الكبير الإبعاد السياسية والاستراتيجية، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، المتابع الاستراتيجي، ٢٠٠٤. <http://goo.gl/GaUrb6>.

- أولبرايت، مادلين، وآخرون، دعماً للديمقراطية العربية لماذا وكيف، تقرير فريق عمل مستقل برعاية مجلس العلاقات الخارجية الأميركي، القاهرة، ٢٠٠٥.
- بينارد، شيرل، الإسلام الديمقراطي المدني: الموارد، الاستراتيجيات، الشركاء، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، المتابع الاستراتيجي (٨)، مصدر سابق، ٢٠٠٥.
- ثابت، أحمد، الشرق الأوسط الكبير، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سابق ٢٠٠٤.
- الحروب، خالد، في الفكر السياسي الأميركي الجديد (عودة التاريخ ورابطة الديمقراطيات)، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٥٧، ٢٠٠٨.
- حسن، أثير نجاح، الواقع الإسلامي في العراق وانعكاسات الفوضى الخلاقة، ثقافتنا، العدد السابع، مجلة فصلية ثقافية عامة تصدر عن دائرة العلاقات الثقافية، وزارة الثقافة، ٢٠٠٩.
- الداعور، سيد محمد، الشرق الأوسط الجديد مشروع أميركي يرسم خريطة جديده لمنطقة الشرق الأوسط الكبير ام الجديد، مجلة الجزيرة، ١٦ مارس ٢٠٠٤.
- رويل، مارك وجيرشن، وساتلوف، روبرت، مأزق الديمقراطية في الشرق الأوسط (الإسلاميون هم الحل)، ملخص حوار سياسي في المنتدى الخاص لمعهد واشنطن، ٢٠٠٥، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سابق.
- روس، دنس، وللقناعات اعتباراتها: السياسية الخارجية الأميركية يشكّلها القادة والاحداث وليس اللوبيات، مقال ضمن مجموعة مقالات بعنوان (وجهات نظر حول النفوذ الإسرائيلي في صياغة السياسة الخارجية الأميركية، سلسلة ترجمات الزيتونة، العدد ١٨، ٢٠٠٦).
- ساتلوف، روبرت، شراكة الشرق الأوسط الكبير (عمل ما يزال بحاجة إلى كثير من التطوير، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، مصدر سابق.
- الصياد، إبراهيم، ماذا وراء المشروع الأميركي الكبير، البيان الاماراتية، ٥ مارس ٢٠٠٤، اعداد مركز الحرمين، مصدر سابق.
- العالم، محمود امين، الثقافة والديمقراطية والهيمنة الأميركية، قضايا فكرية من اجل تأصيل العقلانية والديمقراطية والابداع، سلسلة كتب قضايا فكرية، قضايا فكرية لنشر والتوزيع، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥.
- علي، سليم كاطع، التواجد العسكري الأميركي في الخليج العربي (الدوافع الرئيسة)، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، العدد ٤٥، بغداد، ٢٠١٣.
- عبد المعطي، عمرو، عرض لكتاب رورت كيغان العالم الذي صنّعه اميركا، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣، انظر الرابط: <http://goo.gl/aOxge7>
- فينيسي، أحمد، الولايات المتحدة وقضية الديمقراطية في الوطن العربي، سلسلة قضايا فكرية من اجل التأصيل والعقلانية والابداع، مصدر سابق.

- فرحات، محمد نور، حقوق الانسان في عصر الهيمنة (قراءه لبعض تداعيات حقوق الانسان في الوطن العربي بعد احداث ١١ / أيلول، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سابق.
- لبيب، فخري، النظام العالمي الجديد والمبادرات الأميركية لشرق أوسطية، قضايا فكرية من اجل تأصيل العقلانية والديموقراطية والابداع، مصدر سابق.
- المغراوي، عبدالسلام، السياسة الاجنبية الأميركية والتجديد الإسلامي، موجز لتقرير معهد السلام الاميركي، تقرير خاص رقم ١٦٤، ٢٠٠٦، انظر الرابط: <http://goo.gl/y7lCKU>.
- المصري، احمد، الاستراتيجية الأميركية والشرق الأوسط المنطق النظري والتطبيقات العملية، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العدد ٣، ٢٠٠٧، انظر الرابط <http://goo.gl/J8Oyuh>.
- النجار، احمد حسين، البعد الاقتصادي لمشرق الشرق أوسطي، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سبق ذكره.
- ناي، جوزيف، القوة الناعمة وسائل النجاح في السياسة العالمية، عرض ملخص لكتاب جوزيف نأي، مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية، كتب استراتيجية، مصدر سابق، ٢٠١٠.
- نصار، بهيج، عسكرة السياسة الأميركية وقضايا الحرب والسلام تصورات للمستقبل، سلسلة قضايا فكرية، مصدر سابق.
- نص المشروع الفرنسي الالماني من اجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط، صحيفة الحياة ٢٠٠٤/٣/٧، منشور ضمن سلسلة قضايا حقوق الانسان، كتاب غير دوري يعبر بالقضايا الفكرية لحقوق الانسان والديموقراطية، الاصدار التاسع، دار المستقبل العربي، مصر، ٢٠٠٤.
- نص مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي قدمته الولايات المتحدة في قمة الدول الثماني، صحيفة الحياة الدولية، ١٣ فبراير / شباط ٢٠٠٤، سلسلة حقوق الانسان، مصدر سابق.
- هاس، ريتشارد، نهاية عصر الشرق الأوسط الجديد، مجلة فورن افيرز، ١٣ تشرين الثاني ٢٠٠٦، اعداد مركز الحرمين، مصدر سابق.
- هاس، ريتشارد، الهدف هو الديمقراطية الإسلامية (تحول في الأولويات في واشنطن)، سلسلة حقوق الانسان، مصدر سابق.